سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ

مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ١١٢ [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾

هذه اللام: لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب، أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم؛ كقولك: «أزف للحيّ رحيلهم» الأصل: أزف رحيل الحيّ، ثم أزف للحيّ الرحيل، ثم أزف للحيّ رحيلهم؛ ونحوه: ما أورده سيبويه في «باب ما يثنى فيه المستقرّ توكيداً» عليك زيد حريص عليك، وفيك زيد راغب فيك، ومنه قولهم: لا أبا لك؛ لأنّ اللام مؤكدة لمعنى الإضافة، وهذا الوجه أغرب من الأوّل[1]، والمراد: اقتراب الساعة، وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك؛ ونحوه: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

فإن قلت: كيف وصف بالاقتراب، وقد عدّت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام؟

قلت: هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله ـ عزّ وجل ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ [الحج: ٤٧]، ولأنّ كل آت ـ وإن

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: يعني بقوله صلة لاقترب، أي متعلقة به، وأما جعله اللام تأكيداً لإضافة الحساب إليهم مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم أحداً يقول ذلك، وأيضاً سنحتاج إلى ما تتعلق به، ولا يمكن تعلقه بحسابهم لأنه مصدر موصول ولأنه قدم معموله عليه، وأيضاً فإن التوكيد يكون متأخراً عن المؤكد وأيضاً فلو أخر في هذا التركيب لم يصح، وأما تشبيهه بما أورده سيبويه فالفرق واضح، فإن عليك لحريص وعليك المتأخرة تأكيد، وكذلك فيك زيد راغب فيك فتعلق فيك براغب وفيك الثانية توكيد، وإنّما غره في ذلك صحة توكيد حساب الناس وكذلك أزف رحيل الحي، فاعتقد إذا تقدم الظاهر مجروراً باللام، وأضيف المصدر لضميره أنه من باب فيك زيد راغب فيك، وليس مثله، وأما لا أباً لك فهي مسألة مشكلة وفيها خلاف، ويمكن أن يقال فيها ذلك لأن اللام فيها جاوزت الإضافة ولا يقاس عليها لشذوذها وخروجها عن الأقيسة، قلت مسألة الزمخشري أشبه شيئ بمسألة لا أباً لك، والمعنى الذي أورده صحيح، وأما كونها مشكلة فهو إنما بناها على قول الجمهور، والمشكل مقرر في بابه فلا يضرنا القياس عليه لتقرره في مكانه. انتهى. الدر المصون.

طالت أوقات استقباله وترقبه ـ قريب؛ إنما البعيد هو الذي وجد وانقرض، ولأنّ ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما ٢/١٩ب سلف منها؛ بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان، وقال عليه السلام: «بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ»[1] (٩٥٨)، وفي خطبة بعض المتقدّمين: ولت الدنيا حذاء، ولم تبق إلا صبابة كصبابة الإناء (٩٥٩)، وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه، كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنّ المراد بالناس: المشركون، وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم، وهو ما يتلوه من صفات المشركين، وصفهم بالغفلة مع الإعراض، على معنى: أنهم غافلون عن حسابهم ساهون، لا يتفكرون في عاقبتهم، ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم، مع اقتضاء عقولهم إنه لا بدّ من جزاء للمحسن والمسيء، وإذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر، أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا.

---

٩٥٨ ـ أخرجه البزار رقم (٣٢١٥ ـ كشف) حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد ثنا ابن أبي الوزير محمد بن عمر ثنا سفيان، عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «بعثت في نسم الساعة».

وأبو نعيم في الحلية (٤/١٦١)، وروى الترمذي (٤/٤٩٦) كتاب الفتن، باب ما جاء في قول النبي ـ ﷺ ـ: «بعثت أنا والساعة كهاتين يعني السبابة والوسطى» حديث (٢٢١٣).

حدثنا محمد بن عمر بن هياج الأسدي الكوفي حدثنا يحيى بن عبد الرحمن الأرحبي حدثنا عبيدة بن الأسود عن مجالد عن قيس بن أبي حازم عن المستورد بن شداد الفهري روى عن النبي ﷺ قال: «بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه» لأصبعيه السبابة والوسطى.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من حديث المستورد بن شداد لا نعرفه إلا من هذا الوجه .اهـ.

قال الحافظ: أخرجه البزار بإسناد حسن، من حديث أبي جبير بن الضحاك الأنصاري وأخرجه الحسن بن سفيان، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية. وفي الباب عن المستورد بن شداد رفعه: «بعثت في نفس الساعة ـ الحديث» أخرجه الترمذي، وقوله: وفي خطب بعض المتقدمين: «ولت الدنيا حذاء لم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء» هو عبد الله بن غزوان. أخرجه مسلم من حديثه مطولاً. انتهى.

٩٥٩ ـ أخرجه مسلم (٩/ ٣٢٥) كتاب الزهد والرقائق حديث (٢٩٦٧)، والترمذي (٤/ ٧٠٢) كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة قعر جهنم حديث (٢٥٧٥)، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٢) كتاب الزهد، باب معيشة أصحاب النبي ـ ﷺ ـ حديث (٤١٥٦) مختصراً.

---

(١) قوله «بعثت في نسم الساعة» في الصحاح «نسم الريح» أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد. ومنه الحديث «بعثت في نسم الساعة» أي حين ابتدأت وأقبلت أوائلها. والنسيم أيضاً: جمع نسمة وهي النفس. (ع)

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾

قرّر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ: بأنّ الله يجدّد لهم الذكر وقتاً فوقتاً، ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة؛ ليكرّر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون، فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر ـ التي هي أحق الحق وأجدّ الجدّ ـ إلا لعباً وتلهياً واستسخاراً، والذكر: هو الطائفة النازلة من القرآن، وقرأ ابن أبي عبلة: (محدث): بالرفع صفة على المحل، قوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾: حالان مترادفتان أو متداخلتان، ومن قرأ: (لاهية): بالرفع فالحال واحدة؛ لأنّ (لاهية قلوبهم): خبر بعد خبر؛ لقوله: (وهم)، واللاهية: من لها عنه إذا ذهل وغفل، يعني: أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلاً، وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمّل والتبصر بقلوبهم.

فإن قلت: النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية، فما معنى قوله: (وأسرّوا)؟

قلت: معناه: وبالغوا في إخفائها، أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون، أبدل: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: من واو وأسرّوا، إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسرّوا به، أو جاء على لغة من قال: أكلوني البراغيث، أو هو منصوب المحل على الذم، أو هو مبتدأ خبره: (وأسرّوا النجوى)، قدم عليه، والمعنى: وهؤلاء أسروا النجوى، فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم، ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ هذا الكلام كله في محل النصب بدلاً من النجوى، أي: وأسروا هذا الحديث، ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمراً: اعتقدوا أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ لا يكون إلا ملكاً، وأن كل من ادّعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر؛ فلذلك قالوا على سبيل الإنكار: أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر.

فإن قلت: لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه؟

قلت: كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم، والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره، وعمل المنصوبة في التثبيط عنه[1]، وعادة المتشاورين في خطب ألاّ يشركوا أعداءهم في

---

(١) قوله «وعمل المنصوبة في التثبيط عنه» كأن فيه سقطاً. وفي الصحاح: نصبت لفلان نصباً: إذا عاديته. (ع)

شوارهم، ويتجاهدوا في طيّ سرّهم عنهم ما أمكن واستطيع، ومنه قول الناس: «استعينوا على حوائجكم بالكتمان»، ويرفع إلى رسول الله ـ ﷺ ـ (٩٦٠)، ويجوز أن يسرّوا نجواهم

---

٩٦٠ ـ أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص ـ ٢٢٣) من طريق الهيثم بن أيوب العطار حدثنا سهل بن عبد الرحمن عن محمد بن مطرف، عن محمد بن المنكدر، عن عروة، عن أبي هريرة مرفوعاً.
وللحديث شواهد من حديث معاذ بن جبل وابن عباس وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب.
حديث معاذ بن جبل:
أخرجه العقيلي (٢/ ١٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٩٤) رقم (١٨٣)، وفي «الصغير» (٢/ ١٤٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢١٥، ٦/ ٩٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٥٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٦٥ ـ بتحقيقنا)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٠٧) كلهم من طريق سعيد بن سلام العطار ثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل مرفوعاً.
وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، المتهم به سعيد بن سلام؛ قال العقيلي: لا يعرف إلا به، ولا يتابع عليه، وقال محمد بن عبد الله بن نمير وأحمد بن حنبل: هو كذاب، وقال البخاري: يذكر بوضع الحديث، وقال ابن حبان: يتفرد عن الأثبات بما لا أصل له، وقال الدارقطني: متروك.
وقال ابن الجوزي: المتهم به حسين بن علوان، قال ابن عدي، وابن حبان: كان يضع الحديث.
وقال السيوطي في «اللآلىء» (٢/ ٨١): حسين يضع.
حديث ابن عباس:
أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٥٦ ـ ٥٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٦٥) من طريق الحسين بن عبد الله الأبزازي حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثني المأمون حدثني الرشيد عن المهدي أنه أسر إليه شيء وقال: لا تطلعن عليه أحداً؛ فإن أمير المؤمنين ـ يعني المنصور ـ حدثني عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «استعينوا على نجاح الحوائج بكتمانها».
قال ابن الجوزي: أما حديث ابن عباس فإنه من عمل الأبزاري قال أحمد بن كامل: كان الأبزازي ماجناً كذاباً، قال مُهَنى: سألت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين عن قولهم: «استعينوا على طلب الحوائج بالكتمان» فقالا: هو موضوع وليس له أصل.
حديث عمر بن الخطاب:
أخرجه الخرائطي في «اعتلال القلوب» كما في «اللآلىء» (٢/ ٨٢) عن عمر مرفوعاً.
وورد عنه أيضاً موقوفاً أخرجه الشيرازي في «الألقاب» كما في «تنزيه الشريعة» (٢/ ١٣٤).
حديث علي بن أبي طالب:
أخرجه الخلعي في فوائده كما في «اللآلىء» المصنوعة (٢/ ٨٢).
قال الحافظ: روي موقوفاً. قال: ويرفع إلى النبي ـ ﷺ ـ أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب الثالث والأربعين وابن عدي من رواية سعيد بن سلام العطار، عن ثور بن زيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل. وسعيد. قال البخاري: يذكر بالوضع، وتابعه حسين بن علوان عن ثور. وكان أيضاً يضع الحديث. قاله ابن عدي وابن حبان وقال ههنا عن أحمد وابن معين: هو =

بذلك ثم يقولوا لرسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين: إن كان ما تدعونه حقًا فأخبرونا بما أسررنا.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾

فإن قلت: هلا قيل: يعلم السر؛ لقوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[1]؟

قلت: القول عام يشمل السرّ والجهر، فكان في العلم به العلم بالسرّ وزيادة، فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول: يعلم السرّ، كما أنّ قوله: يعلم السرّ، آكد من أن يقول: يعلم سرهم، ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية.

فإن قلت: فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦]؟

= حديث موضوع. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: منكر لا يعرف له أصل. وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه حمزة السهمي في تاريخ جرجان. وفيه شميل بن عبد الرحمن الجرجاني رواه محمد بن مطرف وعند الهيثم بن أيوب الطالقاني، وعن ابن عباس أخرجه ابن حبان في الضعفاء. وفيه طاهر بن الفضل الحلبي. وهو متهم بالوضع. وله طريق أخرى من رواية الخلفاء للحسن بن علي صاحب السلعة عن إبراهيم بن علي بن مالونة البلخي عن الطالبي عن إبراهيم بن معقل بسنده. وليس فيه غير الطالبي. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم عدل عن قوله يعلم السر مع أن المتقدم وأسروا النجوى... إلخ» قال أحمد: وهذا من اتباع القرآن للرأي، نعوذ بالله من ذلك لاسيما رأي ينفي صفات الكمال عن الله تعالى وما الذي دل عليه (السميع العليم) من نفي صفتي السمع والعلم في تفسيرهما بذلك، مع أنه لا يفهم في اللغة سميع إلا بسمع، ولا عليم إلا بعلم، فإنها صفات مشتقات من مصادر لا بد من فهمها وثبوتها أو لا، ثم ثبوت ما اشتقت منه. ومن أنكر السمع والعلم فقد سارع إلى إنكار السميع العليم وهو لا يشعر. وليس غرضنا في هذا المصنف سوى الإيقاظ لما انطوى عليه الكشاف من غوائل البدع ليتجنبها الناظر. وأما الأدلة الكلامية فمن فنها تتلقى. وحاله فيما يورده من أمثال هذه النزعات مختلف: فمرة يوردها عند كلام يتخيل في ظاهره إشعاراً بغرضه، فوظيفتنا معه حينئذٍ أن ننازع في الظهور، ثم قد نترقى إلى بيان ظهوره في عكس مراده أو نصوصيته، حتى لا يحتمل ما يدعيه بوجه ما، وقد يلجئنا الإنصاف إلى تسليم الظهور له؛ فنذكر وجه التأويل الذي يرشد إليه دليل العقل. ومرة يورد نبذاً من هذا الرأي عند كلام لا يحتمله ولا يشعر به بوجه، وغرضه التعسف حتى لا يخلي شيئاً من كلامه من تعصب وإصرار على باطل، فنتبه على ذلك أيضاً. وما ذكره عند هذه الآية من قبيل ما يدل النص على عكس مراده فيه، وقد أوضحناه.

قلت: ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع، ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى، كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتنّ الكلام افتنانا، وتجمع الغاية وما دونها، على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه، من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى، فكأنه أراد أن يقول: إن ربي يعلم ما أسروه، فوضع القول موضع ذلك للمبالغة، وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض، فهو كقوله علام الغيوب: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣]، وقرئ: ﴿قَالَ رَبِّى﴾: حكاية لقول رسول الله ـ ﷺ ـ لهم.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾

أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وهكذا الباطل لجلج[1]، والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد، ويجوز أن يكون تنزيلاً من الله ـ تعالى ـ لأقوالهم في درج الفساد، وأن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني؛ وكذلك الرابع من الثالث، ٢/ ٢٠أ صحة التشبيه في قوله: ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾: من حيث أنه في معنى: كما أتى الأوّلون بالآيات؛ لأنّ إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات؛ ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول: أرسل محمد ـ ﷺ ؛ وبين قولك: أتى محمد بالمعجزة.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها، فلما جاءتهم نكثوا أو خالفوا، فأهلكهم الله، فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾

أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب، حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى

---

(١) قوله «الباطل لجلج» في الصحاح: الحق أبلج والباطل لجلج، أي: يردد من غير أن ينفذ. (ع)

إليهم كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا؛ وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله ـ ﷺ ـ، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله، ﷺ.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾: صفة لجسداً، والمعنى: وما جعلنا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قبله ذوي جسد غير طاعمين، ووحد الجسد لإرادة الجنس، كأنه قال: ذوي ضرب من الأجساد، وهذا ردّ لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧].

فإن قلت: نعم قد ردّ إنكارهم أن يكون الرسول بشراً يأكل ويشرب بما ذكرت، فماذا ردّ من قولهم بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾؟

قلت: يحتمل أن يقولوا: إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش، ويموت كما نموت، أو يقولوا: هلا كان ملكاً لا يطعم ويخلد: إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون، أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتدّ خلوداً.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾: مثل واختار موسى قومه، والأصل في الوعد: ومن قومه، ومنه: صدقوهم القتال، وصدقني سنّ بكره، ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾: هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ذِكْرُكُمْ﴾: شرفكم وصيتكم؛ كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أو موعظتكم، أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر[1]، كحسن الجوار، والوفاء بالعهد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والسخاء، وما أشبه ذلك.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾

( ) قوله «تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر» لعله «وحسن الذكر» بالواو فقط. (ع)
فائدة «حضور» بفتح المهملة وضم المعجمة: قرية بصنعاء قريبة من قرية عبد الرزاق.

قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾: واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم؛ لأنّ القصم أفظع الكسر، وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم، وأراد بالقرية: أهلها؛ ولذلك وصفها بالظلم، وقال: ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾؛ لأن المعنى: أهلكنا قوماً وأنشأنا قوماً آخرين، وعن ابن عباس: أنها «حضور»، وهي و«سحول»: قريتان باليمن، تنسب إليهما الثياب، وفي الحديث: «كفن رسول الله ـ ﷺ ـ في ثوبين سحوليين» (٩٦١)، وروي: «حضوريين» (٩٦٢)؛ بعث الله إليهم نبيًّا فقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم، وروي: أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء: يا لثارات الأنبياء، ندموا واعترفوا بالخطأ؛ وذلك حين لم ينفعهم الندم، وظاهر الآية على الكثرة، ولعل ابن عباس ذكر «حضور» بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية، فلما علموا شدّة عذابنا وبطشتنا علم حسّ ومشاهدة، لم يشكوا فيها، ركضوا من ديارهم، والركض: ضرب الدابة بالرجل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢]،

---

٩٦١ ـ أخرجه البخاري (٣/ ١٣٥): كتاب الجنائز: باب الثياب البيض للكفن، الحديث (١٢٦٤)، ومسلم (٢/ ٦٤٩): كتاب الجنائز: باب في كفن الميت، الحديث (٤٥/ ٩٤١)، وأبو داود (٣/ ٥٠٦): كتاب الجنائز: باب في الكفن، الحديث (٣١٥١)، والترمذي (٢/ ٢٣٣): كتاب الجنائز: باب في كم كفن النبي الحديث (١٠٠١)، والنسائي (٣٥٤): كتاب الجنائز: باب كفن النبي ﷺ، وابن ماجه (١/ ٤٧٢): كتاب الجنائز: باب في كفن النبي ﷺ الحديث (١٤٦٩)، ومالك (١/ ٢٢٣): كتاب الجنائز: باب في كفن الميت، الحديث (٥)، والشافعي في «الأم» (١/ ٢٦٦)، وأحمد (٦/ ٤٠ ـ ٩٣ ـ ١١٨ ـ ١٢٣ ـ ١٣٢ ـ ١٦٥ ـ ١٩٢)، والبيهقي (٣/ ٣٩٩)، والطيالسي (١٤٥٣)، وعبد الرزاق (٣/ ٤٢١ ـ ٤٢٢)، رقم (١/ ٦١١)، وأبو يعلى (٧/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) رقم (٤٤٠٢)، وابن حبان (٣٠٣٢ ـ الإحسان)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٢٢٥ ـ بتحقيقنا) وابن حزم في «المحلى» (٥/ ١١٨) من حديث عائشة.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قال الحافظ: متفق عليه عن عائشة بلفظ «كفن رسول الله ـ ﷺ ـ في ثلاثة أثواب سحولية». انتهى.

٩٦٢ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٦٣) رواه الدارقطني في كتاب العلل من حديث محمد بن إسحاق الصاغاني ثنا أبو الجواب ثنا سفيان الثوري، عن عاصم بن عبيد الله، عن سالم، عن ابن عمر قال: كفن رسول الله ـ ﷺ ـ في ثلاثة أثواب: ثوبين حضوريين وثوب حبرة. انتهى.

وقال: تفرد به الصاغاني عن أبي الجواب. انتهى كلام الزيلعي.

قال الحافظ: أخرجه الدارقطني في العلل من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ «ثلاثة أثواب: ثوبين حضوريين وثوب حبرة» وقال: تفرد به محمد بن إسحاق الصاغاني عن أبي الجواب عن الثوري عن عاصم بن عبد الله عن سالم عن أبيه بهذا. انتهى.

فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم، فقيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، والقول محذوف.

فإن قلت: من القائل؟

قلت: يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلفاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل، أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم، أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم، ﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾: من العيش الرافه والحال الناعمة، والإتراف: إبطار النعمة وهي الترفة، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾: تهكم بهم وتوبيخ، أي: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم، وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم: بم تأمرون؟ وبماذا ترسمون؟ وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدَّمين؟ أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب، ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم، ويستضيئون بآرائكم، أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم، ويمترون أخلاف[1] معروفكم وأياديكم: إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء، أو كانوا بخلاء؛ فقيل لهم ذلك تهكماً إلى تهكم، وتوبيخاً إلى توبيخ، ﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى يا ويلنا؛ لأنها دعوى، كأنه قيل: فما زالت تلك الدعوى، ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: والدعوى بمعنى: الدعوة؛ قال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢/ ٢٠ب [يونس: ١٠].

فإن قلت: لم سميت دعوى؟

قلت: لأن المولول كأنه يدعو الويل، فيقول تعالى: يا ويل فهذا وقتك، و(تلك): مرفوع أو منصوب اسماً أو خبراً وكذلك دعواهم، الحصيد: الزرع المحصود، أي: جعلناهم مثل الحصيد، شبههم به في استئصالهم واصطلامهم[2]، كما تقول: جعلناهم رماداً، أي: مثل الرماد، والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له، فلما دخل عليه جعل نصبها جميعاً على المفعولية.

فإن قلت: كيف ينصب «جعل»: ثلاثة مفاعيل؟

---

(١) قوله «ويمترون أخلاف معروفكم» في الصحاح: الريح تمري السحاب وتمتريه، أي تستدره. وفيه أيضاً: الخلف ـ بالكسر ـ حلمة ضرع الناقة. (ع)

(٢) قوله «واصطلامهم» في الصحاح «الاصطلام» الاستئصال. (ع)

قلت: حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد؛ لأن معنى قولك «جعلته حلواً حامضاً»: جعلته جامعاً للطعمين، وكذلك معنى ذلك: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

أي: وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب، كما تسوّى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم، للهو واللعب؛ وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية؛ لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا، مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعدّ والمرافق التي لا تحصى، ثم بين أنّ السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي: هو أن الحكمة صارفة عنه، وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلاً؛ لأني على كل شيء قدير، وقوله: ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾؛ كقوله: ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: من جهة قدرتنا، وقيل: اللهو: الولد بلغة اليمن، وقيل: المرأة، وقيل: من لدنا، أي: من الملائكة لا من الإنس، ردًّا لولادة المسيح وعزير.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿بَلْ﴾: إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب، وتنزيه منه لذاته، كأنه قال: سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب[1]، بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب

---

(١) قال محمود: «معناه سبحاننا أن نتخذ لهواً ولعباً... إلخ» قال أحمد: وله تحت قوله واستغنائنا عن القبيح دفين من البدعة والضلالة، ولكنه من الكنوز التي يحمى عليها في نار جهنم، وذلك أن القدرية يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح وفعل ما يتوهمونه حسناً بعقولهم، ويظنون أن الحكمة تقتضي ذلك، فلا يستغني الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف القبيح، فإن الحكمة تقتضي الاستغناء عنه، فإلى ذلك يلوح الزمخشري وما هي إلا نزعة سبق إليها ضلال الفلاسفة. ومن ثم يقولون: ليس في الإمكان أكمل من هذا العالم؛ لأنه لو كان في القدرة أكمل منه وأحسن، ثم لم يخلقه الله تعالى: لكان بخلا ينافي الجود، أو عجزا ينافي القدرة، حتى اتبعهم في ذلك من لا نسميه من أهل الملة ـ عفا الله عنه ـ إن كان هذا مما يدخل تحت ذيل العفو. فالحق أن الله تعالى مستغن عن جميع الأفعال حسنة كانت أو غيرها، مصلحة كانت أو مفسدة. وأن له أن لا يخلق ما يتوهمه القدرية حسناً، وله أن يفعل ما يتوهمونه في الشاهد قبيحاً، وأن كل موجود من فاعل وفعل على الإطلاق فبقدرته وجد، فليس في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله، وهو مستغن عن العالم بأسره، وحسنه وقبحه، فلو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكه شيئاً، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً، اللهم ألهمنا الحق واستعملنا به.

اللعب بالجد، وندحض الباطل بالحق، واستعار لذلك القذف[1] والدمغ؛ تصويراً لإبطاله وإهداره ومحقه، فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً، قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه[2]، ثم قال: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته، وقرئ: «فيدمغه»: بالنصب، وهو في ضعف قوله: [من الوافر]

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ ... وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا[3]

وقرئ فيدمغه.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾: هم الملائكة، والمراد: أنهم مكرمون، منزلون ـ لكرامتهم عليه ـ منزلة المقرّبين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان؛ لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه[4].

فإن قلت: الاستحسار مبالغة في الحسور[5]، فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور.

قلت: في الاستحسار بيان أنّ ما هم فيه يوجب غاية الحسور[6] وأقصاه، وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون، أي: تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم، لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى: بل والهمزة، قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار

---

(١) عاد كلامه. قال: «وفي قوله تعالى: «بل نقذف بالحق على الباطل» استعارة حسنة: استعار القذف... إلخ» قال أحمد: ومثل هذا التنبيه من حسناته، ولولا أن السيئة التي قبلها تتعلق بالعقيدة لتلوت: إن الحسنات يذهبن السيئات، والله أعلم.

(٢) قوله «فدمغه» في الصحاح: أي شجه حتى بلغت الشجة الدماغ. (ع)

(٣) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول صفحة ٥٥٧ فراجعه إن شئت اهـ مصححه.

(٤) قوله «لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل. (ع)

(٥) قال محمود: «إن قلت لم استعمل الاستحسار ههنا في النفي... إلخ» قال أحمد: وبمثله أجيب عن قوله تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فانظره.

(٦) قوله «يوجب غاية الحسور» أي الكلال. أفاده الصحاح. (ع)

لما بعدها، والمنكر: هو اتخاذهم، ﴿ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾: الموتى[1]، ولعمري، أن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات.

فإن قلت: كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر[2] وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم؟ وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا ـ مع إقرارهم لله ـ عزّ وجل ـ بأنه خالق السموات والأرض: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى ـ منكرين البعث ويقولون: من يحيي العظام وهي رميم، وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم، فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأساً؟

قلت: الأمر كما ذكرت، ولكنهم باذعائهم لها الإلهية، يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار؛ لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور، والإنشار من جملة المقدورات، وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل، وإشعار بأنّ ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده؛ لأنّ الإلهية لما صحت صحّ معها الاقتدار على الإبداء والإعادة؛ ونحو قوله: ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾، قولك: فلان من مكة أو من المدينة، تريد: مكي أو مدني، ومعنى نسبتها إلى الأرض: الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض؛ لأنّ الآلهة على ضربين: أرضية، وسماوية؛ ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَيْنَ رَبُّكِ؟» فأشارت إلى السماء، فقال: «إِنَّهَا مُؤْمِنَة» (٩٦٣)؛ لأنه فهم منها أنّ مرادها نفي الآلهة الأرضية التي هي الأصنام، لا إثبات السماء مكاناً لله ـ عزّ وجل ـ ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض؛ لأنها إمّا أن تنحت من بعض الحجارة، أو تعمل من بعض جواهر الأرض.

---

٩٦٣ ـ أخرجه مسلم (٣/ ٢٣ ـ نووي) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة حديث (٥٣٧)، وأبو داود (١/ ٣٠٧) كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة حديث (٩٣٠) وفي (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) كتاب الأيمان والنذور، باب في الرقبة المؤمنة حديث (٣٢٨٢)، والنسائي (٣/ ١٤ ـ ١٨) كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة، وأحمد في المسند (٥/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨)، والدارمي (١/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) كتاب الصلاة، باب النهي عن الكلام في الصلاة، وابن حبان في صحيحه (١/ ٣٨٣) رقم (١٦٥)، وابن الجارود في المنتفى (٢١٢)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٥٧) كتاب الأيمان، باب ما يجوز في عتق الكفارات، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٩٨) رقم (٩٣٧) و(٩٣٨) كلهم من حديث معاوية بن الحكم.
قال الحافظ: أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما من حديث معاوية بن الحكم السلمي. انتهى.

---

(١) قوله «هم ينشرون الموتى» الإنشار: الإحياء بعد الموت. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة... إلخ» قال أحمد: فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها وهو أبلغ في الإنكار، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فإن قلت: لا بدّ من نكتة في قوله: ﴿هُمْ﴾[1].

قلت: النكتة فيه: إفادة معنى الخصوصية، كأنه قيل: أم اتخذوا آلهة لا يقدر ٢/ ٢١أ على الإنشار إلا هم وحدهم، وقرأ الحسن: ﴿يُنشِرُونَ﴾، وهما لغتان: أنشر الله الموتى، ونشرها، وصفت آلهة بإلا كما توصف بغير، لو قيل: آلهة غير الله.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾

فإن قلت: ما منعك من الرفع على البدل؟

قلت: لأنّ «لو» بمنزلة: «إن» في أنّ الكلام معه موجب، والبدل لا يسوّغ إلا في الكلام غير الموجب؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١]؛ وذلك لأنّ أعمّ العامّ يصح نفيه ولا يصح إيجابه، والمعنى: لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما، لفسدتا، وفيه دلالة على أمرين:

أحدهما: وجوب ألاّ يكون مدبرهما إلا واحداً.

---

(١) عاد كلامه. قال محمود: «إن قلت لا بد لقولهم (هم) من فائدة. وإلا فالكلام مستقل بدونها... إلخ» قال أحمد: وفي هذه النكتة نظر؛ لأن آلات الحصر مفقودة. وليس ذلك من قبيل: صديقي زيد، فإن المبتدأ في الآية أخص شيء لأنه ضمير. وأيضاً فلا ينبني على ذلك إلزامهم حصر الألوهية فيهم، وتخصيص الانشار بهم، ونفيه عن الله تعالى، إذ هذا لا يناسب السياق، فإنه قال عقبها: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. ومعناه: لو كان فيهماإله غير الله شريكا لله لفسدتا، وكان مقتضى ما قال الزمخشري أن يقال: لو لم يكن فيهما آلهة إلا الأصنام لفسدتا. وأما والمتلوّ على خلاف ذلك، فلا وجه لما قال الزمخشري. وعندي أنه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قولهم (هم) الإيذان بأنهم لم يدعوا لها الإنشار. وأن قوله (وهم ينشرون) استئناف إلزام لهم، وكأنه قال: اتخذوا آلهة مع الله عز وجل فهم إذن يحيون الموتى ضرورة كونهم آلهة، ثم لما انتظم من دعواهم الألوهية للأصنام وإلزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على إحياء الموتى، نظم في إبطال هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وأزيد هذا التقرير وضوحاً فأقول: إن دليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية، المقتبس من نورها، يورده المتكلمون على صورة التقسيم، فيقولون: لو وجد مع الله إله آخر، وربما قالوا: لو فرضنا وجود إلهين، فإما أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال اللاتي يندرج فيها القدرة على إحياء الموتى وإنشارهم وغير ذلك من الممكنات، أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر، ثم يحيلون جميع الأقسام وهو المسمى برهان الخلف. وأدق الأقسام إبطالاً قسم اتصافهما جميعاً بصفات الكمال، وما عداه فبادىء الرأي يبطل. فانظر كيف اختار له تعالى إبطال هذا القسم الخفي البطلان، فأوضح فساده في أخصر أسلوب وأوجزه، وأبلغ بديع الكلام ومعجزه. وإنما ينتظم هذا على أن يكون المقصد من قوله (هم ينشرون) إلزامهم ادعاء صفات الألوهية لآلهتهم، حتى يتحرى أنهم اختاروا القسم الذي أبطله الله تعالى، ووكل إبطال ما عداه من الأقسام إلى ما ركبه في عباده من العقول، وكل خطب بعد بطلان هذا القسم جلل، والله الموفق. فتأمل هذا الفصل بعين الإنصاف، تجده أنفس الإنصاف، والله المستعان.

والثاني: أَلاَّ يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده؛ لقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

فإن قلت: لم وجب الأمران؟

قلت: لعلمنا أنّ الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف، وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق: كان ـ والله أعزّ ـ عليّ من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شول[1]، وهذا ظاهر، وأما طريقة التمانع فلمتكلمين فيها تجاول وطراد، ولأنّ هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة، بتلك الصفات حتى تثبت وتستقرّ.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أَلاَّ يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم؛ تهيباً وإجلالاً، مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم ـ كان ملك الملوك وربّ الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأَلاَّ يسأل عن أفعاله، مع ما علم واستقرّ في العقول من أن ما يفعله كل مفعول بدواعي الحكمة، ولا يجوز عليه الخطأ[2]، ولا فعل القبائح[3]، ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ أي: هم مملوكون مستعبدون خطاؤن، فما خلقهم بأن يقال لهم: لم فعلتم؟ في كل شيء فعلوه.

---

(١) قوله «لا يجتمع فحلان في شول» في الصحاح «الشول» النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها. (ع)

(٢) قال محمود: «لما بين تعالى أنه رب الأرباب وخالقهم ومالكهم، ناسب هذا التنبيه على ما يجب له تعالى على خلقه من الإجلال والإعظام، فإن آحاد الملوك تمنع مهابته أن يسئل عن فعل فعله، فما ظنك بخالق الملوك وربهم. ثم إن آحاد الملوك يجوز عليهم الخطأ والزلل وقد استقر في العقول أن أفعال الله تعالى كلها مفعول بدواعي الحكمة، ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح، قال أحمد: سحقاً لها من لفظة ما أسوأ أدبها مع الله تعالى، أعني قوله: دواعي الحكمة؛ فإن الدواعي والصوارف إنما تستعمل في حق المحدثين، كقولك: هو مما توفر دواعي الناس إليه أو صوارفهم عنه. وقوله: «لا يجوز عليه فعل القبائح» قلت: وهذا من الطراز الأول، ولو أنه في الذيل: فقد نسيت وما بالعهد من قدم. وبعد ما انقضى دليل التوحيد وإبطال الشرك من سمعك أيها الزمخشري، وقلمك رطب بتقريره، فلم نكصت وانتكست؟ أتقول إن أحداً شريك لله في ملكه يفعل ما يشاء من الأفعال التي تسميها قبائح فتنفيها عن قدرة الله تعالى وإرادته. وما الفرق بين من يشرك لله ملكاً من الملائكة، وبين من يشرك نفسه بربه حتى يقول: إنه يفعل ويخلق لنفسه شاء الله أو لم يشأ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. والقدرية ارتضوا لأنفسهم شر شرك؛ لأن غيرهم أشرك بالملائكة، وهم أشركوا بنفوسهم وبالشياطين والجن وجميع الحيوانات، نعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك.

(٣) قوله «ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فهو الفاعل للخير والشر، كما بين في علم التوحيد. (ع)

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

كرّر: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾؛ استفظاعاً لشأنهم، واستعظاماً لكفرهم، أي: وصفتم الله تعالى بأنّ له شريكاً، فهاتوا برهانكم على ذلك: إمّا من جهة العقل، وإمّا من جهة الوحي، فإنكم لا تجدون كتاباً من كتب الأوّلين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعوٌّ إليه، والإشراك به منهي عنه متوعد عليه، أي: ﴿هَٰذَا﴾: الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه، كما ورد عليّ فقد ورد على جميع الأنبياء، فهو ذكر، أي: عظة للذين معي، يعني: أمّته، وذكر للذين من قبلي: يريد أمم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وقرئ: (ذكرٌ من معي وذكرٌ من قبلي): بالتنوين، ومن مفعول منصوب بالذكر؛ كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤ ـ ١٥]، وهو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول؛ كقوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الروم: ٢ ـ ٣]، وقرئ: (من معي)، و(من قبلي): على من الإضافية في هذه القراءة، وإدخال الجار على «مع»: غريب، والعذر فيه: أنه اسم هو ظرف؛ نحو: قبل، وبعد، وعند، ولدن، وما أشبه ذلك، فدخل عليه: «من» كما يدخل على أخواته، وقرئ: «ذكر معي وذكر قبلي»، كأنه قيل: بل عندهم ما هو أصل الشرّ والفساد كله وهو: الجهل وفقد العلم، وعدم التمييز بين الحق والباطل؛ فمن ثم جاء هذا الإعراض، ومن هناك ورد هذا الإنكار، وقرئ: (الحق): بالرفع، على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب، والمعنى: أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل، ويجوز أن يكون المنصوب ـ أيضاً ـ على هذا المعنى، كما تقول: هذا عبد الله الحق لا الباطل.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿يُوحَىٰٓ﴾، ونوحي: مشهورتان، وهذه الآية مقرّرة لما سبقها من آي التوحيد.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

نزلت في خزاعة، حيث قالوا: الملائكة بنات الله، نزه ذاته عن ذلك، ثم أخبر عنهم

بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة، إلا أنهم: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾: مقرّبون عندي مفضلون[1] على سائر العباد[2] لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم، فذلك هو الذي غرّ منهم من زعم أنهم أولادي ـ تعاليت عن ذلك علواً كبيراً ـ وقرئ: «مكرّمون»، و(لا يسبقونه): بالضم، من: سابقته فسبقته أسبقه، والمعنى: أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله، فلا يسبق قولهم قوله، والمراد بقولهم، فأنيب اللام مناب الإضافة، أي: لا يتقدّمون قوله بقولهم، كما تقول: سبقت بفرسي فرسه، وكما أنّ قولهم تابع لقوله، فعملهم ـ أيضاً ـ كذلك مبني على أمره: لا يعملون عملاً ما لم يؤمروا به، وجميع ما يأتون ويذرون مما قدّموا وأخروا بعين الله، وهو مجازيهم عليه فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم، ويراعون أحوالهم، ويعمرون أوقاتهم، ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم، ثم أنهم مع هذا كله من خشية الله، ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ أي: متوقعون من أمارة ضعيفة، كائنون على حذر ورقبة[3] لا يأمنون مكر الله، وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه رأى جبريل ـ عليه السلام ـ ٢/ ٢١ب ليلة المعراج ساقطاً كالحلس[4] من خشية الله (٩٦٤)، وبعد أن وصف كرامتهم عليه، وقرب

---

٩٦٤ ـ أخرجه البزار في مسنده (١/ ٤٧) (٥٨/ كشف)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٧٥) ـ ١٧٦) رقم (١٥٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣١٦).

من حديث أنس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل ﷺ فوكز بين كتفي، فقمت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقصد في أحدهما وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمسست فالتفت إلى جبريل، كأنه حلس لاطىء عرفت فضل علمه بالله علي، وفتح باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم، وإذا دون الحجاب رفرفة الدر والياقوت فأوحى إليّ ما شاء أن يوحى.

قال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٠): «رواه البزار، والطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح».

قال الحافظ: أخرجه ابن خزيمة من رواية مرة عن ابن مسعود «أن النبي ـ ﷺ ـ ذكر سدرة المنتهى ـ الحديث» قال فوقع جبريل فصار كالحلس الملقى» إسناده قوي. وغلط ابن الجوزي في تضعيفه لمحمد بن ميمون شيخ ابن خزيمة، فإنه ثقة ـ وفي الطبراني الأوسط وتفسير ابن مردويه من رواية =

---

(١) قال محمود: «معناه مكرمون مفضلون على سائر عباد الله» قال أحمد: وهذا التفسير من جعل القرآن تبعاً للرأي، فإنه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده، وليس غرضنا إلا بيان أنه حمل الآية ما لا تحتمله، وتناول منها ما لا تعطيه؛ لأنه ادعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لا على بعضهم، فدعواه شاملة ودليله مطلق، والله الموفق.

(٢) قوله «مفضلون على سائر العباد» هذا عند المعتزلة، وبعض البشر أفضل منهم عند أهل السنة. (ع)

(٣) قوله «ورقبة» بالكسر، أي: انتظار. أفاده الصحاح. (ع)

(٤) قوله «كالحلس» بكسر فسكون. أو بفتحتين: كساء رقيق يكون تحت البرذعة أو تحت الرحل. أفاده الصحاح. (ع)

منزلتهم عنده، وأثنى عليهم، وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية.

فاجأ بالوعيد الشديد، وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان[1] ذلك على سبيل الفرض والتمثيل، مع إحاطة علمه بأنه لا يكون؛ كما قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، قصد بذلك تفظيع أمر الشرك، وتعظيم شأن التوحيد.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قرئ: (ألم ير): بغير واو، و(رتقا): بفتح التاء، وكلاهما في معنى المفعول، كالخلق والنقض، أي: كانتا مرتوقتين.

فإن قلت: الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقتين؛ لأنه مصدر، فما بال الرتق؟

قلت: هو على تقرير موصوف، أي: كانتا شيئاً رتقاً، ومعنى ذلك: أن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما، أو كانت السموات متلاصقات، وكذلك الأرضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرّج بينها، وقيل: ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة؛ وإنما قيل: كانتا دون كنّ؛ لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض؛ ونحوه قولهم: لقاحان سوداوان، أي: جماعتان، فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر.

فإن قلت: متى رأوهما رتقاً حتى جاء تقريرهم بذلك؟

قلت: فيه وجهان:

= عبد الكريم الجزري عن عطاء عن جابر رفعه: «مررت في السماء الرابعة بجبريل، وهو كالحلس البالي من خشية الله» إسناده قوي. وروى ابن خزيمة في التوحيد وابن سعد وسعيد بن منصور والبزار والبيهقي في الشعب والدلائل والطبراني في الأوسط، كلهم من رواية أبي قلابة الحارث بن أبي عمران الجوفي عن أنس رفعه «بينما أنا قاعد إذ جاء جبريل. فوكز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها كوكري الطائر فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر. فسمت بنا فارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي. ولو شئت أن أمس لمسست، فالتفت إلى جبريل كأنه حلس لاطىء. عرفت فضل علمه بالله عليّ، وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم ـ الحديث» قال البزار: لا نعلم رواه عن أبي عمران إلا الحرث بن عبيد وقال غيره: خالفه حماد بن سلمة عن أبي عمران إلا الحرث بن عبيد وقال غيره: خالفه حماد بن سلمة عن أبي عمران إلا الحرث بن عبيد وقال غيره: خالفه حماد بن سلمة عن أبي عمران. فقال: عن محمد بن عمير بن عطاء مرسلاً كذلك أخرجه ابن المبارك في الزهد عن حماد، وفي رواية «فعرفت فضل خشيته على خشيتي وزاد فيه فأوحى الله إليه أنبياً عبداً أم نبياً ملكاً. فأومأ إلى جبريل عليه السلام: بل نبياً عبداً». انتهى.

---

(١) قوله «إن كان» لعله: إذ كان. (ع)

أحدهما: أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه، فقام مقام المرئيِّ المشاهد.

والثاني: أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل، فلا بدّ للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه، ﴿وَجَعَلْنَا﴾: لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين، فإن تعدّى إلى واحد، فالمعنى: خلقنا من الماء كل حيوان؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، أو كأنما خلقناه من الماء؛ لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه؛ كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى: صيرنا كل شيء حيّ؛ بسبب من الماء لا بدّ له منه، و«من» هذا[1]؛ نحو: «من» قوله ـ عليه السلام ـ: «مَا أَنَا مِنْ دِدٍّ وَلاَ الدِّدُّ مِنِّي»[2] (٩٦٥)، وقرئ: «حيا»، وهو المفعول الثاني، والظرف لغو.

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾

أي كراهة: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾، وتضطرب، أو لئلا تميد بهم، فحذف «لا»، واللام؛ وإنما جاز حذف: «لا»؛ لعدم الالتباس[3]، كما تزاد لذلك في نحو قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾

---

٩٦٥ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/٣٤٣ ـ ٣٤٤) رقم (٧٩٤) حدثنا محمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي ثنا محمد بن عبد الوهاب الأزهري ثنا محمد بن إسماعيل الجعفري ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن معاوية عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لست من دد ولا دد مني».

ورواه البخاري في الأدب رقم (٧٨٥)، والبيهقي في السنن(١٠/٢١٧) كتاب الشهادات، باب من كره كلما لعب الناس به من الحزة وابن عدي في الكامل (٧/٢٦٩٨)، والبزار في مسنده رقم (٢٤٠٢)، وابن أبي حاتم في العلل (٢/٢٦٦) رقم (٢٢٩٥). وقال: سألت أبي وأبا زرعة عن حديث فذكره... وقالا: هكذا رواه أبو زكريا، ورواه الدراوردي عن عمرو عن المطلب بن عبد الله عن معاوية بن أبي سفيان عن النبي ـ ﷺ ـ قلت لأبي زرعة: أيهما عندك أشبه؟ قال: الله أعلم ثم تفكر ساعة، فقال: حديث الدراوردي أشبه، وسألت أبي فقال: حديث معاوية أشبه» اهـ.

قال الحافظ: أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والبزار، والطبراني من رواية يحيى بن محمد بن قيس عن عمرو بن أبي عمرو عن أنس. زاد البزار قال يحيى: يقول: «لست من الباطل ولا الباطل مني» قال: لا نعلمه إلا عن أنس من هذا الوجه. واستنكره ابن عدي ليحيى بن محمد بن قيس. وقال ابن أبي حاتم: رواه الدراوردي عن عمرو عن المطلب عن معاوية نحوه مرفوعاً ونقل عن أبيه وأبي زرعة أن رواية الدراوردي أشبه بالصواب. انتهى.

---

(١) قوله «ومن هذا» لعله: «ومن هنا». (ع)

(٢) قوله عليه السلام: «ماأنا من دد» في الصحاح: الدد: اللهو واللعب. (ع)

(٣) قال محمود: «معناه كراهة أن تميد بهم، أو تكون لا محذوفة لأمن الإلباس» قال أحمد: وأولى من =

[الحديد: ٢٩]، وهذا مذهب الكوفيين الفج: الطريق الواسع.

فإن قلت: في الفجاج معنى: الوصف، فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر؛ كما في قوله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾؟ [نوح: ٢٠].

قلت: لم تقدّم وهي صفة، ولكن جعلت حالاً؛ كقوله: [من الوافر]

لِعَزَّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ قَدِيمٌ[1] . . . . . .

فإن قلت: ما الفرق بينهما من جهة المعنى؟

قلت: أحدهما: الإعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة، والثاني: بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة، هو بيان لما أبهم ثمة، محفوظاً حفظه بالإمساك بقدرته من أن يقع على

= هذين الوجهين أن يكون من قولهم: أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدعمه. قال سيبويه: ومعناه أن أدعم الحائط إذا مال. وإنما قدم ذكر الميل اهتماماً بشأنه. ولأنه أيضاً هو السبب في الإدعام. والإدعام سبب في إعداد الخشبة، فعامل سبب السبب معاملة السبب. وعليه حمل قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ كذلك ما نحن فيه يكون الأصل: وجعلنا في الأرض رواسي لأجل أن تثبتها إذا مادت بهم «فجعل الميد هو السبب، كما جعل الميل في المثل المذكور سبباً، وصار الكلام: وجعلنا في الأرض رواسي تميد فتثبتها، ثم حذف قوله «فتثبتها» لأمن الإلباس إيجازاً واختصاراً، وهذا التقرير أقرب إلى الواقع مما أول الزمخشري الآية عليه، فإن مقتضى تأويله أن لا تميد الأرض بأهلها؛ لأن الله كره ذلك، ومكروه الله تعالى محال أن يقع، كما أن مراده واجب أن يقع، والمشاهد خلاف ذلك، فكم من زلزلة مادت لها الأرض وكادت تقلب عاليها سافلها. وأما على تقريرنا فالمراد أن الله تعالى يثبت الأرض بالجبال إذا مادت، وهذا لا يأبى وقوع الميد، كما أن قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ لا يأبى وقوع الضلال والنسيان من إحداهما، لكنه ميد يستعقبه التثبيت، وكذلك الواقع من الزلازل إنما هو كاللمحة ثم يثبتها الله تعالى.

(١) لعزة موحشًا طلل قديم عفاه كل أسحم مستديم

لكثير. والطلل: ما شخص من آثار الدار، والصفة إذا تقدمت على موصوفها كانت حالاً منه كما هنا؛ لأنه مذهب الكوفيين والأخفش أن «طلل» فاعل الظرف قبله وإن لم يعتمد. و«موحشاً» حال منه مقدمة عليه. ويجوز أنه مبتدأ. وموحشاً حال من الضمير المستتر في الظرف. وأجاز سيبويه أنه حال من المبتدأ المؤخر. وعاملها الاستقرار المحذوف، ولا يمتنع عنده اختلاف عامل الحال وعامل صاحبها، خلافاً للجمهور. والموحش: الموقع في الوحشة، ضد المؤنس: الموقع في الأنس. ويجوز أن معناه كثير الوحوش. وعفاه: أهلكه. والأسحم: صفة السحاب، أي: كل أسود دائم الأمطار. ويروى هكذا: [من مجزوء الوافر]

لمية موحشا طلل يلوح كأنه خلل

وهي بالكسر: جمع خلة، وهي بطانة مخططة تغشى بها جفان السيوف، وسيور تلبس ظهور القسى. ينظر: البيت في ملحق ديوانه ص ٥٣٦، وشرح التصريح ١/ ٣٧٥، وشرح المفصل ٢/ ٦٢، ٦٤، وله أو لذي الرمة في خزانة الأدب ٣/ ٢٠٩، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٣٠٠.

الأرض ويتزلزل[1]، أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة، ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ أي: عما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس[2] والقمر وسائر النيرات، ومسايرها وطلوعها وغروبها، على الحساب القويم والترتيب العجيب، الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة، وأيّ جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها، والاعتبار بها، والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم، ودبرها ونصبها هذه النصبة، وأودعها ما أودعها مما لا يعرف كنهه إلا هو عزت قدرته ولطف علمه، وقرئ: «عن آيتها»: على التوحيد: اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس، أي: هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية، كالاستضاءة بقمريها، والاهتداء بكواكبها، وحياة الأرض والحيوان بأمطارها، وهم عن كونها آية بينة على الخالق: ﴿مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿كُلٌّ﴾: التنوين فيه: عوض من المضاف إليه، أي: كلهم، ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: والضمير للشمس والقمر، والمراد بهما: جنس الطوالع كل يوم وليلة؛ جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها، وهو السبب في جمعهما بالشموس والأقمار، وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد؛ وإنما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة.

فإن قلت: الجملة ما محلها؟

قلت: محلها: النصب على الحال من الشمس والقمر.

فإن قلت: كيف استبدّ بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما؟

قلت: كما تقول: رأيت زيداً وهنداً متبرجة ونحو ذلك، إذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل، ومنه قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢]، أو لا محل لها لاستئنافها.

فإن قلت: لكل واحد من القمرين فلك على حدة، فكيف قيل: جميعهم يسبحون في فلك؟

قلت: هذا كقولهم: «كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفاً»، أي: كل واحد منهم، أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين، فاكتفى بما يدل على الجنس اختصاراً؛ ولأنّ الغرض الدلالة على الجنس.

---

(١) قوله «ويتزلزل» لعله: أو يتزلزل. (ع)

(٢) قوله «والعبر بالشمس» لعله «كالشمس... إلخ» كعبارة النسفي. (ع)

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ ٢/ ٢٢أ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

كانوا يقدّرون أنه سيموت فيشمتون بموته، فنفى الله ـ تعالى ـ عنه الشماتة بهذا، أي: قضى الله ألاّ يخلد في الدنيا بشراً، فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت، فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى هؤلاء؟ وفي معناه قول القائل [من الوافر]:

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا: أَفِيقُوا ... سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا[1]

أي: نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا، وبما يجب فيه الشكر من النعم، وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر؛ وإنما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم؛ لأنه في صورة الاختبار، و﴿فِتْنَةً﴾: مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الذكر يكون بخير وبخلافه، فإذا دلت الحال على أحدهما، أطلق ولم يقيد؛ كقولك للرجل: سمعت فلاناً يذكرك، فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء، وإن كان عدوّاً فذمّ[2]؛

---

(١) وما أن طِبُّنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا: أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

لذي الأصبع العدواني. وقيل: لفروة بن مسيك المرادي. وقيل للفرزدق، والطب ـ بالكسر ـ: العادة والعاهة. وأن زائدة، ويمكن أنها لتوكيد النفي، أي: ليست عادتنا أو علتنا الجبن، ولكن تلك المصيبات منايانا المقدرة لنا أو لكن علتنا منايانا. والدولة: النوبة من النصر، لأنه يتداول بين الجيشين. والشامت: المتشفي من غيظه بما أصاب عدوه. وشبههم بالسكارى على سبيل المكنية لعدم تيقظهم للعواقب، وأمرهم بالإفاقة تخييل، وبين ذلك بقوله: سيلقون من الهزيمة مثل ما لقينا، وتكون الدولة لنا عليهم فليفيقوا من سكرتهم.

(٢) قال محمود: «الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد بقيد القرينة، فإن كان الذاكر صديقاً فهم منه الخير، وإن كان عدواً فهم منه الذم» قال أحمد: وكذلك القول، ومنه قول موسى عليه السلام: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ معناه أتعيبون الحق لما جاءكم، ثم ابتدأ فقال ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ وإنما لم يجعله معمولاً للقول ومحكياً به، لأنهم قفوا القول بأنه سحر فقالوا ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ولم يشككوا أنفسهم، ولا استفهموا، وقد مضى فيه غير هذا، وإنما أطلقوا في قولهم ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ ولم يقولوا: هذا الذي يذكر آلهتكم بكل سوء، لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي من القدح في آلهتهم، رمياً بأنهم لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، وحاشوها من نقل ذمها مفصلا، فأومئوا إليه بالإشارة المذكورة، كما يتحاشى المؤمن من =

ومنه قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، وقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ والمعنى: أنهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهممهم وما يجب ألاَّ تذكر به، من كونهم شفعاء وشهداء، ويسوءهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك، وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية؛ فهم به كافرون، لا يصدّقون به أصلاً فهم أحق بأن يتخذوا هزؤا منك، فإنك محق وهم مبطلون، وقيل: معنى: (بذكر الرحمن) قولهم: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، وقولهم: (وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا)، وقيل: (بذكر الرحمن): بما أنزل عليك من القرآن، والجملة في موضع الحال، أي: يتخذونك هزؤا، وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية، وهي الكفر بالله.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقرار، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم، فقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة، وأنه مطبوع عليها، ثم نهاهم وزجرهم، كأنه قال: ليس ببدع منكم أن تستعجلوا؛ فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنه أراد بالإنسان آدم ـ عليه السلام ـ وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم، وروي أنه لما دخل الروح في عينه نظر إلى ثمار الجنة، ولما دخل جوفه اشتهى الطعام، وقيل: خلقه الله ـ تعالى ـ في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس، فأسرع في خلقه قبل مغيبها، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه النضر بن الحارث، والظاهر: أن المراد الجنس، وقيل: «العجل»: الطين، بلغة حمير؛ وقال شاعرهم: [من البسيط]

. . . . . وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ[1]

والله أعلم بصحته.

= حكاية كلمة الكفر، فيومئ إليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض، فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان، وأساؤا الأدب على الرحمن.

(١) النبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

يقول: النبع وهو شجر تتخذ منه القسي. في الصخرة الصماء الصلبة لا في غيرها. منبتة أي نباته، والنخل ينبت في الأرض اللينة الريانة، فهو بين الماء والعجل، أي: الطين. وهذه لغة حمير كما قيل. والظاهر أن الشطر الأول تمثيل للصعب البخيل. والثاني للسهل الجواد. ويجوز أن الأول للشجاع. والثاني للجبان: لشدة الأول ورخاوة الثاني.

ينظر: لسان العرب (عجل)، وتهذيب اللغة (١/ ٣٦٩)، وتاج العروس (عجل).

فإن قلت: لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾، أليس هذا من تكليف ما لا يطاق؟

قلت: هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها؛ لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة، وقرئ: «خلق الإنسان».

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

جواب ﴿لَوْ﴾: محذوف، و﴿حِينَ﴾: مفعول به ليعلم، أي: لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الملك: ٢٥]، وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدّام، فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم، ولا يجدون ناصراً ينصرهم؛ لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكن جهلهم به هو الذي هوّنه عندهم، ويجوز أن يكون ﴿يَعْلَمُ﴾: متروكاً بلا تعدية، بمعنى: لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين، وحين: منصوب بمضمر، أي: حين ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾: يعلمون أنهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم، أي: لا يكفونها، بل تفجؤهم فتغلبهم، يقال: للمغلوب في المحاجة: مبهوت؛ ومنه: «فبهت الذي كفر»، أي: غلب إبراهيم ـ عليه السلام ـ الكافر، وقرأ الأعمش: «يأتيهم»، «فيبهتهم»: على التذكير، والضمير للوعد أو للحين.

فإن قلت: فإلام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة؟

قلت: إلى النار أو إلى الوعد؛ لأنه في معنى النار وهي التي وعدوها أو على تأويل العدة أو الموعدة، أو إلى الحين؛ لأنه في معنى: الساعة، أو إلى البغتة، وقيل في القراءة الأولى: الضمير للساعة، وقرأ الأعمش: «بغتة»: بفتح الغين، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: تذكير بإنظاره إياهم وإمهاله، وتفسيح وقت التذكر عليهم، أي: لا يمهلون بعد طول الإمهال.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

سلى رسول الله ـ ﷺ ـ عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء ـ عليهم السلام ـ أسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم، كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ ما فعلوا.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: من بأسه وعذابه، ﴿بَلْ هُمْ﴾: معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم؛ فضلاً أن يخافوا بأسه، حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالىء وصلحوا

للسؤال عنه، والمراد أنه أمر رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بسؤالهم عن الكالىء، ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك؛ لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم ٢/ ٢٢ب مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾

ثم أضرب عن ذلك بما في «أم» من معنى: «بل»، وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾: من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا، ثم استأنف فبين أنّ ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد، كيف يمنع غيره وينصره؟

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

ثم قال: بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا، لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا، وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعاً لهم بالحياة الدنيا وإمهالاً، كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم، ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ﴾: الأمد، وامتدت بهم أيام الروح والطمأنينة، فحسبوا ألاّ يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنهم واستمتاعهم؛ وذلك طمع فارغ وأمد كاذب، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا﴾: ننقص أرض الكفر ودار الحرب، ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام.

فإن قلت: أي فائدة في قوله: ﴿نَأْتِي الْأَرْضَ﴾؟

قلت: فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين، وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها، ناقصة من أطرافها.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۖ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قرئ: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ﴾، «ولا تسمع الصم»: بالتاء والياء، أي: لا تسمع أنت الصم، ولا يسمع رسول الله ـ ﷺ ـ ولا: يسمع الصم، من أسمع.

فإن قلت: الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر، فكيف قيل: ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾؟

قلت: اللام في الصم إشارة إلى هؤلاء المنذرين، كائنة للعهد لا للجنس، والأصل: ولا يسمعون إذا ما ينذرون، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على تصامهم وسدّهم

أسماعهم إذا أنذروا، أي: هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصامّ من آيات الإنذار، ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ﴾: من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء، لأذعنوا وذلوا، وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا، وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات؛ لأنّ النفح في معنى القلة والنزارة، يقال: نفحته الدابة وهو رمح يسير[1]، ونفحه بعطية: رضخه، ولبناء المرة.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

وصفت ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾: بالقسط، وهو العدل؛ مبالغة، كأنها في أنفسها قسط، أو على حذف المضاف، أي: ذوات القسط، واللام في ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مثلها في قولك: جئته لخمس ليال خلون من الشهر؛ ومنه بيت النابغة [من الطويل]:

تَـوَسَّـمْـتُ آيَـاتٍ لَـهَـا فَـعَـرَفْـتُـهَـا ... لِـسِـتَّـةِ أَعْـوَامٍ وَذَا الْـعَـامُ سَـابِـعُ[2]

وقيل: لأهل يوم القيامة، أي: لأجلهم.

فإن قلت: ما المراد بوضع الموازين؟

قلت: فيه قولان:

أحدهما: إرصاد الحساب السويّ، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة، من غير أن يظلم عباده مثقال ذرّة، فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات.

---

(١) قوله «وهو رمح يسير» في الصحاح: رمحه الفرس والبغل والحمار: إذا ضربه برجله. (ع)

(٢) عـفـا قـسـم مـن فـرتـنـا فـالـفـوارع ... فـجـنـبـا أريـك بـالـتـلاع الـدواقـع
تـوسـمـت آيـات لـهـا فـعـرفـتـهـا ... لـسـتـة أعـوام وذا الـعـام سـابـع

للنابغة. وعفا: بلي وخلا. وفرتنا اسم محبوبته. وقسم، والفوارع، وأريك: أسماء مواضع. والتلاع: المواضع المرتفعة. والدواقع ـ بالقاف ـ: المقفرة كثيرة التراب. ودقع الرجل دقعًا، كتعب، إذا التصق بالدقعاء وهي الأرض الكثيرة التراب من شدة فقره. وأما بالفاء فهي التي يدفع فيها السيل بكثرة. وتوسمت بالواو تتبعت سماتها وعلاماتها فعرفتها بها. ويروى بالراء، أي: تتبعت رسومها وآثارها فعرفتها، أي: تلك المواضع السابقة. وقوله «لستة أعوام أي مستقبلاً تمام ستة أعوام مضت من عهدها. وهذا العام الحاضر الذي نحن فيه هو السابع. ولو قال: لسبعة أعوام، لأفاد أن السبعة كلها مضت وليس مراداً. فقول بعضهم: إنه كان يكفيه أن يقول: لسبعة أعوام، فعجز عن إتمامه، وكمله بما لا معنى له، لا وجه له إلا عدم التبصر.

ينظر: ديوانه ص ٣١، وخزانة الأدب، ٢/ ٤٥٣، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٤٧، والصاحبي في فقه اللغة ص ١١٣، والكتاب ٢/ ٨٦، ولسان العرب (عشر)، والمقاصد النحوية ٣/ ٤٠٦، ٤/ ٤٨٢، أوضح المسالك ٤/ ٢٢٦١ وشرح التصريح ٢/ ٢٧٦، وشرح شواهد الشافية ص ١٠٨، والمقتضب ٤/ ٣٢٢، والمقرب ١/ ١٤٧، الدر المصون ١/ ٢٠١.

والثاني: أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال، عن الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان، ويروى: أن داود ـ عليه السلام ـ سأل ربه أن يريه الميزان، فلما رآه غشي عليه، ثم أفاق فقال: يا إلهي، من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات، فقال: يا داود، إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة.

فإن قلت: كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض؟

قلت: فيه قولان:

أحدهما: توزن صحائف الأعمال.

والثاني: تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة، وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة، وقرئ: ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ على «كان» التامة؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وقرأ ابن عباس ومجاهد: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾، وهي مفاعلة من الإتيان، بمعنى: المجازاة والمكافأة؛ لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء، وقرأ حميد: «أثبنا بها»: من الثواب، وفي حرف أبيّ: «جئنا بها»، وأنث ضمير المثقال؛ لإضافته إلى الحبة؛ كقولهم: ذهبت بعض أصابعه، أي: آتيناهما.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: وهو التوراة، ﴿وَ﴾ أتينا به، ﴿ضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾، والمعنى: أنه في نفسه ضياء وذكر، أو وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكراً، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الفرقان: الفتح؛ كقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وعن الضحاك: فلق البحر، وعن محمد بن كعب: المخرج من الشبهات، وقرأ ابن عباس: «ضياء»: بغير واو: وهو حال عن الفرقان، والذكر: الموعظة، أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم، أو الشرف.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

محل ﴿ٱلَّذِينَ﴾: جرّ على الوصفية، أو نصب على المدح، أو رفع عليه.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾: هو القرآن، وبركته: كثرة منافعه، وغزارة ٢/ ٢٣أ خيره.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

الرشد: الاهتداء لوجوه الصلاح؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، وقرئ: «رشده»، والرشد والرشد، كالعدم والعدم، ومعنى إضافته إليه: أنه رشد مثله، وأنه رشد له شأن، ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ ومعنى علمه به: أنه علم منه أحوالاً بديعة وأسراراً عجيبة وصفات قد رضيها وأحمدها، حتى أهله لمخالته ومخالصته؛ وهذا كقولك في خير من الناس: أنا عالم بفلان، فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل، ﴿إِذْ﴾: إما أن يتعلق بآتينا، أو برشده. أو بمحذوف، أي: اذكر من أوقات رشده هذا الوقت، قوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: تجاهل لهم وتغاب، ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها، لم ينو للعاكفين مفعولاً، وأجراه مجرى ما لا يتعدى؛ كقولك: فاعلون العكوف لها، أو واقفون لها.

فإن قلت: هلا قيل: عليها عاكفون، كقوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]؟

قلت: لو قصد التعدية لعدّاه بصلته التي هي «على».

ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم، وهم معتقدون أنهم على شيء، وجادّون في نصرة مذهبهم، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم، وكفى أهل التقليد سبة أنّ عبدة الأصنام منهم، ﴿أَنتُمْ﴾: من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به؛ لأنّ العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع؛ ونحوه: اسكن أنت وزوجك الجنة، أراد أن المقلدين والمقلدين جميعاً، منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة؛ لاستناد الفريقين إلى غير دليل، بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع، لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالاً.

﴿قَالُوٓا أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾

بقوا متعجبين من تضليله إياهم، وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة، لا على طريق الجدّ، فقالوا له: هذا الذي جئتنا به، أهو جدّ وحق، أم لعب وهزل؟

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

الضمير في ﴿فَطَرَهُنَّ﴾: للسماوات والأرض، أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم، وشهادته على ذلك: إدلاؤه بالحجة عليه، وتصحيحه

بها؛ كما تصحح الدعوى بالشهادة، كأنه قال: وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات؛ لأني لست مثلكم، فأقول ما لا أقدر على إثباته بالحجة، كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم، ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قرأ معاذ بن جبل: «بالله»، وقرئ: «تولوا»: بمعنى: تتولوا، ويقويها قوله: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الصافات: ٩٠].

فإن قلت: ما الفرق بين الباء والتاء؟

قلت: ان الباء هي الأصل، والتاء: بدل من الواو المبدلة، منها، وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره، ولعمري، إن مثله صعب متعذر في كل زمان، خصوصاً في زمن نمروذ مع عتوّه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه.

ولكن: [من الطويل]

. . . . . إِذَا اللَّهُ سَنَّىٰ عِقْدَ شَيْءٍ تَيَسَّرَا[1]

روي أن آزر خرج به في يوم عيد لهم، فبدءوا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها، ووضعوا بينها طعاماً خرجوا به معهم، وقالوا: إلى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا، فذهبوا وبقي إبراهيم، فنظر إلى الأصنام، وكانت سبعين صنماً مصطفة، وثم صنم عظيم مستقبل الباب، وكان من ذهب في عينيه جوهرتان تضيئان بالليل، فكسرها كلها بفأس في يده، حتى إذا لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه، عن قتادة: قال ذلك سرًّا من قومه، وروي: سمعه رجل واحد، ﴿جُذَٰذًا﴾: قطاعاً، من الجذ وهو القطع، وقرئ بالكسر والفتح، وقرئ: «جذذا»: جمع جذيذ، وجذذاً: جمع جذة، وإنما استبقى الكبير؛ لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه، لما تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم، فيبكتهم بما أجاب به من قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وعن الكلبي: ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى كبيرهم، ومعنى هذا: لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات، فيقولون له: ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحاً والفأس على عاتقك؟

---

(١) وأعلم علمًا ليس بالظن أنه إذا الله سنّى عقد شيء تيسرا

ذكر المصدر توكيداً دافعاً للتجوز في الفعل، ثم بين المراد بقوله «ليس بالظن» ويجوز أنه ذكره توطئة لوصفه بأنه غير ظن. وسنيت الشيء: فككته وسهلته. والعقد: مستعار للصعوبة تصريحاً، أي: إذا سهل الله صعوبة شيء وأزالها، سهل تحصيله أو دفعه إن كان محبوباً أو مكروهاً.

قال: هذا بناء على ظنه بهم، لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها، أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه؛ استهزاء بهم واستجهالاً، وأن قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه ي حل كل مشكل.

فإن قلت: فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم، فأي فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ غرضاً؟

قلت: إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر، وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم.

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾

أي أن من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم، معدود في الظلمة: إمّا لجرأته على الآلهة الحقيقة ٢/٢٣ب عندهم بالتوقير والإعظام، وإمّا لأنهم رأوا إفراطاً في حطمها وتمادياً في الاستهانة بها.

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

فإن قلت: ما حكم الفعلين بعد ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾، وأي فرق بينهما؟

قلت: هما صفتان لفتى، إلا أن الأوّل وهو: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾: لا بد منه لسمع؛ لأنك لا تقول: سمعت زيداً وتسكت، حتى تذكر شيئاً مما يسمع، وأمّا الثاني: فليس كذلك.

فإن قلت: ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾، ما هو؟

قلت: قيل: هو خبر مبتدأ محذوف، أو منادى، والصحيح: أنه فاعل يقال؛ لأن المراد الاسم لا المسمى، ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾: في محل الحال، بمعنى: معايناً مشاهداً، أي: بمرأى منهم ومنظر.

فإن قلت: فما معنى: الاستعلاء في على؟

قلت: هو وارد على طريق المثل، أي: يثبت إتيانه في الأعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: عليه بما سمع منه، وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له؛ روي أنّ الخبر بلغ نمروذ وأشراف قومه، فأمروا بإحضاره.

﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

هذا من معاريض الكلام، ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من

علماء المعاني، والقول فيه أنّ قصد إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الضم؛ وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط: أأنت كتبت هذا؟ وصاحبك أمّيّ لا يحسن الخطّ ولا يقدر إلا على خرمشة[1] فاسدة، فقلت له: بل كتبته أنت، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك وإثباته للأميّ أو المخرمش؛ لأنّ إثباته ـ والأمر دائر بينكما للعاجز منكما ـ استهزاء به وإثبات للقادر، ولقائل أن يقول: غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة، وكان غيظ كبيرها أكبر وأشدّ لما رأى من زيادة تعظيمهم له، فأسند الفعل إليه؛ لأنه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها، والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه، ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم، كأنه قال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم، فإنّ من حق من يعبد ويدعى إلهاً أن يقدر على هذا وأشدّ منه، ويحكى أنه قال: فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها، وقرأ محمد بن السميفع: فعله كبيرهم، يعني: فلعله، أي: فلعل الفاعل كبيرهم.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم، رجعوا إلى أنفسهم، فقالوا: أنتم الظالمون على الحقيقة، لا من ظلمتموه حين قلتم: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

نكسته: قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وانتكس: انقلب، أي: استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة، ثم انتكسوا وتقلبوا عن تلك الحالة، فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة، وأنّ هؤلاء ـ مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق ـ آلهة معبودة، مضارّة منهم، أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم ـ عليه السلام ـ مجادلين عنه، حين نفوا عنها القدرة على النطق، أو قلبوا على رءومهم حقيقة؛ لفرط إطراقهم خجلاً وانكساراً وانخزالاً مما بهتهم به إبراهيم ـ عليه السلام ـ فما أحاروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم، وقرئ: «نكّسوا»: بالتشديد، و«نكسوا»: على لفظ ما سمي فاعله، أي: نكسوا أنفسهم على رءومهم: قرأ به رضوان بن عبد المعبود.

---

(١) قوله «خرمشة فاسدة» الموجود في الصحاح: الخرش: مثل الخدش. والخراش: سمته. والمخرشة: خشبة يخط بها الخراز. ولم يوجد فيه «خرمشة» بزيادة الميم. (ع)

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿أُفٍّ﴾: صوت إذا صوّت به علم أنّ صاحبه متضجر، أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل، فتأفف بهم، واللام: لبيان المتأفف به، أي: لكم ولآلهتكم هذا التأفف.

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

أجمعوا رأيهم ـ لما غلبوا ـ بإهلاكه؛ وهكذا المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح، لم يكن أحد أبغض إليه من المحق، ولم يبق له مفزع إلا مناصبته، كما فعلت قريش برسول الله ـ ﷺ ـ حين عجزوا عن المعارضة، والذي أشار بإحراقه نمروذ، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: رجل من أعراب العجم، يريد: الأكراد، وروي أنهم حين هموا بإحراقه، حبسوه ثم بنوا بيتاً كالحظيرة بكوثي، وجمعوا شهراً أصناف الخشب الصلاب، حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: إن عافاني الله لأجمعنَّ حطباً لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق في الجوّ من وهجها، ثم رضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فرموا به فيها، فناداها جبريل ـ عليه السلام ـ: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾، ويحكى: ما أحرقت منه إلا وثاقه، وقال له جبريل ـ عليه السلام ـ حين رمى به: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال: فسل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: إنما نجا بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل، وأطل عليه نمروذ من الصرح، فإذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة، فقال: إني مقرّب إلى إلٰهك، فذبح أربعة آلاف بقرة ٢/ ٢٤أ وكفّ عن إبراهيم، وكان إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إذ ذاك ابن ست عشرة سنة، واختاروا المعاقبة بالنار؛ لأنها أهول ما يعاقب به وأفظعه؛ ولذلك جاء: «لاَ يُعَذِّبُ بالنَّارِ إلاَّ خَالِقُهَا» (٩٦٦)؛ ومن ثم

---

٩٦٦ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٨) كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله حديث (٣٠١٦).
حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: بعثنا رسول الله ـ ﷺ ـ في بعث فقال: «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار»، ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ حين أردنا الخروج: «إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما».
وأبو داود (٢/ ٦١) كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار حديث (٢٦٧٤)، والترمذي (٤/ ١٣٧) كتاب السير، حديث (١٥٧١)، والنسائي في السير كما في (التحفة) (١٠/ ١٠٦)، وابن =

قالوا) ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ أي: إن كنتم ناصرين آلهتكم نصراً مؤزراً، فاختاروا له أهول المعاقبات، وهي الإحراق بالنار، وإلا فرّطتم في نصرتها؛ ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتفخيم شأنها، ولم يألوا جهداً في ذلك، جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وإرادته كمأمور أمر بشيء فامتثله، والمعنى: ذات برد وسلام، فبولغ في ذلك، كأن ذاتها برد وسلام، والمراد: ابردي فيسلم منك إبراهيم، أو ابردي برداً غير ضارّ، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: لو لم يقل ذلك، لأهلكته ببردها (٩٦٧).

فإن قلت: كيف بردت النار وهي نار؟

قلت: نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحرّ والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والاشتعال كما كانت، والله على كل شيء قدير، ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم ـ عليه السلام ـ أذى حرّها ويذيقه فيها عكس ذلك، كما يفعل بخزنة جهنم؛ ويدل عليه قوله: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به، فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت، وفزعوا إلى القوّة والجبروت، فنصره وقوّاه.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

نجيا من العراق إلى الشام، وبركاته الواصلة إلى العالمين: أن أكثر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بعثوا فيه، فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية، وهي البركات الحقيقية، وقيل: بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنيّ والفقير، وعن سفيان أنه خرج إلى الشام فقيل له: إلى أين؟ فقال: إلى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم، وقيل: ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس[1]، وروي أنه نزل بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة.

= حبان في صحيحه (١٢/ ٤٢٥) رقم (٥٦١١)، وأحمد (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٣٨ ـ ٤٥٣)، وابن الجارود في المنتقى رقم (١٠٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٧١) كتاب السير، باب المنع من إحراق المشركين بالنار بعد الأسر.

قال الحافظ: وفي أبي داود: «إلا رب النار». انتهى.

٩٦٧ ـ ذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٨١)، وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم.

---

(١) قلت) جاء مرفوعاً عن أبي بن كعب. أخرجه الطبري عن الحسين عن الفضيل بن موسى عن الحسين بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله «ونجيناه ولوطًا ـ الآية» قال: الشام، وما من ماء عذب إلا يخرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس وأخرجه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين بن الجنيد عن أبي عمار أخرجه أيضاً من رواية محمد بن سعد بن سابق عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية مقطوعاً لم يذكر أبي بن كعب، بلفظ «هي =

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾

النافلة: ولد الولد، وقيل: سأل إسحاق فأعطيه، وأعطى يعقوب نافلة، أي: زيادة وفضلاً من غير سؤال.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله، ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها، وأوّل ذلك أن يهتدي بنفسه؛ لأن الانتفاع بهداه أعم، والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي أميل، ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أصله: أن تفعل الخيرات، ثم فعلا الخيرات، ثم فعل الخيرات، وكذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿حُكْمًا﴾: حكمة وهو ما يجب فعله، أو فصلاً بين الخصوم، وقيل: هو النبوّة، والقرية سذوم، أي: في أهل رحمتنا، أو في الجنة؛ ومنه الحديث: «هٰذِهِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِهَا مَنْ أَشَاءُ» (٩٦٨).

---

٩٦٨ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٥٧٢) كتاب التفسير، باب قوله: «وتقول هل من مزيد» حديث (٤٨٥٠)، ومسلم (٩/ ١٩٨ ـ نووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون حديث (٢٨٤٦)، والترمذي (٤/ ٦٩٤) كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار حديث (٢٥٦١)، والنسائي في الكبرى كما في «التحفة» (١٠/ ٣٣٩)، وأحمد (٢/ ٢٧٦ ـ ٣١٤ ـ ٤٥٠)، وابن حبان (١٦/ ٤٨٢) رقم (٧٤٤٧)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ٥٦٧) رقم (٤٣١٨) =

= الأرض المقدسة بارك الله فيها للعالمين» ولم يذكر الصخرة. وأخرجه عبد بن حميد عن أبي النضر عن أبي جعفر كذلك. وزاد «لأن كل ماء عذب في الأرض منها يخرج من أصل صخرة بيت المقدس، يهبط من السماء إلى الصخرة ثم يتفرق في الأرض» وأخرجه أبو سعيد النقاش في فوائده من وجه آخر عن الربيع عن أبي العالية. وأخرجه أبو سعيد عبد بن حميد عن أبي النضر نحوه بتمامه وأخرجه الخطيب أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المقدسي المعروف بابن الواسطي في كتاب فضل بيت المقدس من طريق آدم ابن أبي إياس عن أبي جعفر الرازي، بلفظ في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ قال: من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صخرة بيت المقدس. وأخرج الخطيب المذكور من طريق غالب بن عبد الله عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه «الأنهار كلها والسحاب والبحار والرياح من تحت صخرة بيت المقدس» وغالب متروك.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿مَن قَبْلُ﴾: من قبل هؤلاء المذكورين.

هو «نصر»: الذي مطاوعه «انتصر»، وسمعت هذلياً يدعو على سارق: اللهم، انصرهم منه، أي: اجعلهم منتصرين منه، والكرب: الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

أي: واذكرهما، وإذ: بدل منهما، والنفش: الانتشار بالليل، وجمع الضمير؛ لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما، وقرئ: «لحكمهما»، والضمير في ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾: للحكومة أو الفتوى، وقرئ: «فأفهمناها»: حكم داود بالغنم لصاحب الحرث، فقال سليمان ـ عليه السلام ـ وهو ابن إحدى عشرة سنة: غير هذا أرفق بالفريقين، فعزم عليه ليحكمنّ، فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها، والحرث إلى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد، ثم يترادّان، فقال: القضاء ما قضيت، وأمضى الحكم بذلك.

فإن قلت: أحكما بوحي أم باجتهاد؟

قلت: حكما جميعاً بالوحي، إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان، وقيل: اجتهدا جميعاً، فجاء اجتهاد سليمان ـ عليه السلام ـ أشبه بالصواب.

فإن قلت: ما وجه كل واحدة من الحكومتين؟

قلت: أمّا وجه حكومة داود ـ عليه السلام ـ فلأن الضرر لما وقع بالغنم، سلمت بجنايتها إلى المجني عليه، كما قال أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ في العبد إذا جنى على

= ـ بتحقيقنا).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة رفعه: «تحاجت النار والجنة ـ الحديث» وفيه: قال للجنة: أنت رحمتي أرحم بها من أشاء من عبادي»، ولمسلم من حديث أبي سعيد نحوه.

النفس: يدفعه المولى بذلك أو يفديه، وعند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: يبيعه في ذلك أو يفديه، ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث، ووجه حكومة سليمان ـ عليه السلام ـ: أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث، من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان؛ مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبداً فأبق من يده: ٢/ ٢٤ب أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوّته الغاصب من منافع العبد، فإذا ظهر تراداً.

فإن قلت: فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا، ما حكمها؟

قلت: أبو حنيفة وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار؛ إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد، والشافعي ـ رضي الله عنه ـ يوجب الضمان بالليل، وفي قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾: دليل على أنّ الأصوب كان مع سليمان ـ عليه السلام ـ وفي قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: دليل على أنهما جميعاً كانا على الصواب، ﴿يُسَبِّحْنَ﴾: حال بمعنى: مسبحات، أو استئناف، كأن قائلاً قال: كيف سخرهنّ؟ فقال: يسبحن، ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: إمّا معطوف على الجبال، أو مفعول معه.

فإن قلت: لم قدمت الجبال على الطير؟

قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد والطير حيوان، إلا أنه غير ناطق، روي أنه كان يمرّ بالجبال مسبحاً وهي تجاوبه، وقيل: كانت تسير معه حيث سار.

فإن قلت: كيف تنطق الجبال وتسبح؟

قلت: بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى[1]، وجواب آخر: وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله، فلما حملت على التسبيح وصفت به، ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجباً عندكم، وقيل: وكنا نفعل بالأنبياء مثل ذلك.

اللبوس: اللباس، قال [من الرجز]:

---

(١) قوله «كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى» هذا عند المعتزلة، بناء على أن كلام الله حادث فلا يقوم بذاته تعالى: أما عند أهل السنة فكلامه تعالى قديم قائم بذاته، ويسمعه موسى عليه السلام بكشف الحجاب عنه. (ع)

إِلْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا[1]

والمراد: الدرع؛ قال قتادة: كانت صفائح فأوّل من سردها وحلقها داود، فجمعت الخفة والتحصين، ﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾: قرئ بالنون والياء والتاء، وتخفيف الصاد وتشديدها؛ فالنون: لله ـ عزّ وجل ـ والتاء: للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع، والياء: لداود أو للبوس.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

قرئ: الريح، والرياح، بالرفع والنصب فيهما، فالرفع: على الابتداء، والنصب: على العطف على الجبال.

فإن قلت: وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى، فما التوفيق بينهما[2]؟

قلت: كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم، فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة؛ على ما قال: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]، فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها، مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم: آية إلى آية، ومعجزة إلى معجزة، وقيل: كانت في وقت رخاء، وفي وقت

---

(١) البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بُوسها

لبيهس الملقب بنعامة: قتل له سبعة إخوة، فجعل يلبس القميص مكان السراويل وعكسه. وإذا سئل عن ذلك قال: هذا البيت، حتى إذا أخذت دماء السبعة. واللبوس ـ بالفتح ـ: اللباس. وقسمه في الإبدال منه إلى النعيم والبؤس لعلاقة السببية. ويجوز أنه على حذف المضاف، أي: لبوس نعيمها أو لبوس بؤسها. ووسط إما للتنويع، ولكن القصة تدل على أن ذات اللباس لم تتغير، فيجوز أن اللبوس اسم مصدر وإن كان استعمال فعول بالفتح في المصدر قليلاً، ويجوز أن يروى بالضم، فيكون بمعنى المصدر على الكثير، أي: البس لكل حالة ما ينابسها من اللبس. إما اللبس المستقيم أو المنعكس، والمأمور باللبس ليس معنا، والبؤس بالهمز: الشدة. قلبت همزته هنا واواً لتناسب القافية. وبين لبوس وبوس: الجناس الناقص.

(٢) قال محمود: «إن قلت قد وصفت هذه الريح بأنها رخاء وبأنها عاصف فما وجه ذلك؟ قلت: ما هي إلا جمعتهما وكانت في نفسها رخاء طيبة وفي سرعة حركتها كالعاصف» قال أحمد: وهذا كما ورد وصف عصا موسى تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان، والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجافي منها. ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين؛ فكانت في خفتها وفي سرعة حركتها كالجان، وكانت في عظم خلقها كالثعبان، ففي كل واحد من الريح والعصا على هذا التقرير معجزتان والله سبحانه وتعالى أعلم.

عاصفاً؛ لهبوبها على حكم إرادته، وقد أحاط علمنا بكل شيء فنجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا.

أي: يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر، ويتجاوزون ذلك إلى الأعمال، والمهن، وبناء المدائن، والقصور، واختراع الصنائع العجيبة؛ كما قال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣]، والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره، أو يبدلوا أو يغيروا، أو يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

أي: ناداه بأني مسني الضر، وقرئ: «إني» بالكسر، على إضمار القول أو لتضمن النداء معناه، و«الضر» ـ بالفتح ـ: الضرر في كل شيء، وبالضم: الضرر في النفس من مرض وهزال، فرق بين البناءين لافتراق المعنيين، ألطف في السؤال؛ حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب، ويحكى أنّ عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك، فقالت: يا أمير المؤمنين، مشت جرذان[1] بيتي على العصيّ! فقال لها: ألطفت في السؤال، لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبًّا، كان أيوب ـ عليه السلام ـ روميًا من ولد إسحاق بن يعقوب ـ عليهم السلام ـ وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله: كان له سبعة بنين وسبع بنات، وله أصناف البهائم، وخمسمائة فدان[2] يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ونخيل، فابتلاه الله بذهاب ولده ـ انهدم عليهم البيت فهلكوا ـ وبذهاب ماله، وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة، وعن قتادة: ثلاث عشرة سنة، وعن مقاتل: سبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات، وقالت له امرأته يوماً: لو دعوت الله، فقال لها: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة، فقال: أنا أستحي من الله أن أدعوه، وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم، وروي أن امرأته ولدت بعدُ ستة وعشرين ابناً، أي: لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالإحسان لا ننساهم أو رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين، ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة.

---

(١) قوله «جرذان بيتي» في الصحاح «الجرذ» ضرب من الفأر. والجمع جرذان. (ع)

(٢) قوله «وخمسمائة فدان» ففي الصحاح «الفدن» القصر. والفدان: آلته الثورين للحرث. (ع)

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

قيل في ذي الكفل: هو إلياس، وقيل: زكريا، وقيل: يوشع بن نون؛ وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله والمجدود[1] على الحقيقة، وقيل: كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم، وقيل: خمسة من الأنبياء ذوو اسمين: إسرائيل ويعقوب، إلياس وذو الكفل، عيسى والمسيح، يونس وذو النون، محمد وأحمد: صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ ٢/ ١٢٥أ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿ٱلنُّونِ﴾: الحوت، فأضيف إليه، برم[2] بقومه؛ لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم، فراغمهم وظنّ أنّ ذلك يسوغ؛ حيث لم يفعله إلا غضباً لله وأنفة لدينه وبغضاً للكفر وأهله، وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في المهاجرة عنهم، فابتلي ببطن الحوت، ومعنى مغاضبته لقومه: أنه أغضبهم بمفارقته، لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها، وقرأ أبو شرف: «مغضباً»، قرئ: «نقدر»، و«نقدّر»: مخففاً ومثقلاً، «ويقدر»: بالياء بالتخفيف، و«يُقْدَرَ»، و«يُقَدَّرَ»: على البناء للمفعول مخففاً ومثقلاً، وفسرت بالتضييق عليه، وبتقدير الله عليه عقوبة، وعن ابن عباس: أنه دخل على معاوية فقال: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها، فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك، قال: وما هي يا معاوية، فقرأ هذه الآية، وقال: أويظن نبيّ الله ألاّ يقدر عليه؟ قال: هذا من القدر لا من القدرة، والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة، على معنى: أن لن نعمل فيه قدرتنا، وأن يكون من باب التمثيل، بمعنى: فكانت حاله ممثلة بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه، من غير انتظار لأمر الله، ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان، ثم يردعه ويرده بالبرهان، كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠]، والخطاب للمؤمنين ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي: في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت؛ كقوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٧]، وقوله: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾

---

(١) قوله «والمجدود» في الصحاح «الجد» الحظ والبخت. تقول: جددت يا فلان، أي: صرت ذا جد، فأنت جديد حظيظ، ومجدود محظوظ. (ع)

(٢) قوله «برم بقومه» سئمهم وتبرم بهم، أفاده الصحاح. (ع)

[البقرة: ٢٥٧]وقيل: ظلمات بطن الحوت والبحر والليل، وقيل: ابتلع حوته حوتٌ أكبر منه، فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر، أي: بأنه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾، أو بمعنى: «أي»، عن النبي ـ ﷺ ـ: «مَا مِنْ مَكْرُوبٍ يَدْعُو بِهٰذَا الدُّعَاءِ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ» (٩٦٩)، وعن الحسن: ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿نُنجِى﴾، وننجي، ونجى، والنون لا تدغم في الجيم، ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجى النجاء المؤمنين، فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء ـ فمتعسف بادر التعسف.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

سأل ربه أن يرزقه ولداً يرثه ولا يدعه وحيداً بلا وارث، ثم ردّ أمره إلى الله مستسلماً، فقال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي؛ فإنك خير وارث، إصلاح زوجه: أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها، وقيل: تحسين خلقها، وكانت سيئة

---

٩٦٩ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٥٢٩) كتاب التفسير حديث (٣٥٠٥) حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا يونس بن إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له».

والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٦٨) عمل اليوم والليلة، باب ذكر دعوة ذي النون حديث (١٠٤٩٢) وأحمد في المسند (١/ ١٧٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٥)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٣٢) رقم (٦٢٠).

قال الحافظ: أخرجه الترمذي، والحاكم، والبيهقي في الشعب في السبعين من رواية إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده سعد بن أبي وقاص رفعه: دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له، قال الترمذي: رواه بعضهم عن إبراهيم عن جده، لم يقل عن أبيه اهـ، وله متابع أخرجه الحاكم من رواية كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب عن مصعب بن سعد عن أبيه، بلفظ: «ألا أخبركم بشيء إذا نزل بأحدكم كرب، أو بلاء فدعا به إلا فرج عنه. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: دعوة ذي النون: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، وأخرجه الحاكم أيضاً من رواية معمر بن سليمان عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة بن سهيل بن حنيف عن سعد. انتهى.

الخلق، الضمير للمذكورين من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يريد: أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا لمبادرتهم أبواب الخير، ومسارعتهم في تحصيلها، كما يفعل الراغبون في الأمور الجادون، وقرئ: (رغبا ورهبا): بالإسكان؛ وهو كقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] ﴿خَٰشِعِينَ﴾: قال الحسن: ذلا لأمر الله، وعن مجاهد: الخشوع: الخوف الدائم في القلب، وقيل: متواضعين، وسئل الأعمش، فقال: أما إني سألت إبراهيم فقال: ألا تدري؟ قلت: أفدني، قال: بينه وبين الله إذا أرخى ستره وأغلق بابه، فليرِ الله منه خيراً، لعلك ترى أنه أن يأكل خشناً ويلبس خشناً ويطأطىء رأسه.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: إحصاناً كليًا من الحلال والحرام جميعاً؛ كما قالت: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

فإن قلت: نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [مريم: ٧٢]، أي: أحييته، وإذا ثبت ذلك كان قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾: ظاهر الإشكال؛ لأنه يدل على إحياء مريم.

قلت: معناه نفخنا الروح في عيسى فيها[1]، أي: أحييناه في جوفها[2]؛ ونحو ذلك أن يقول الزمار: نفخت في بيت فلان، أي: نفخت في المزمار في بيته، ويجوز أن يراد: وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل ـ عليه السلام ـ لأنه نفخ في جيب درعها

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ مؤاخذاً له ما استعمل «نَفَخَ» متعدياً والمحفوظ أنّه لا يتعدى فيحتاج في تعديه إلى سماع وغير متعد ستعمله هو في قوله أي نَفَخْتُ في المزمار انتهى ما واخذه به، قلت وسمع نفخ متعدياً ويدل على ذلك ما قرىء في الشاذ «فأنفخها فيكون طائراً» وقد حكاها هو قراءة فكيف ينكرها فعليك بالالتفات إلى ذلك. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «إن قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه وحينئذٍ يكون معناه فأحيينا مريم ويشكل إذ ذاك. قلت: معناه فنفخنا الروح في عيسى في مريم أي أحييناه في جوفها انتهى كلامه» قال أحمد: وقد اختار الزمخشري في قوله عز وجل ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أن تكون الضمائر كلها راجعة إلى موسى. أما الأول فلا إشكال فيه، وأما التابوت إذا قذف في اليم وموسى فيه، فقد قذف موسى في اليم. وكذلك الثالث. واختار غيره عود الضميرين الأخيرين إلى التابوت؛ لأنه فهم من قوله: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أن المراد التابوت. وأما موسى فلم يقذف في اليم. والزمخشري نزل قذف التابوت في اليم وموسى فيه منزلة قذفه في اليم. وفي هذه الآية مصداق لما اختاره، فإن الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم، فعبر بما يفهم ظاهر هذا.

فوصل النفخ إلى جوفها.

فإن قلت: هلا قيل: آيتين كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢].

قلت: لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة؛ وهي ولادتها إياه من غير فحل.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾

الأمّة: الملة، و﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: إشارة إلى ملة الإسلام، أي: إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة، ﴿وَأَنَا۠﴾: إلهكم إله واحد، ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾: ونصب الحسن أمّتكم على البدل من هذه، ورفع أمّة خبرٌ، وعنه رفعهما جميعاً خبرين لهذه، أو نوى للثاني مبتدأ، والخطاب للناس كافة.

﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

والأصل: وتقطعتم، إلا أن الكلام حرف على الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم، ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، والمعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً، كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه، فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب، تمثيلاً لاختلافهم فيه، وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى، ثم توعدهم بأنّ هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون، فهو محاسبهم ومجازيهم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

الكفران: مثل في حرمان الثواب، كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل لله: شكور، وقد نفي نفي الجنس؛ ليكون ٢/ ٢٥ب أبلغ من أن يقول: فلا نكفر سعيه، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ أي: نحن كاتبو ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله، وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

استعير الحرام للممتنع وجوده، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]، أي: منعهما منهم، وأبى أن يكونا لهم، وقرئ: «حرم، وحرم»: بالفتح والكسر، و«حرّم وحرّم»، ومعنى: ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: عزمنا على إهلاكها، أو قدرنا إهلاكها،

ومعنى الرجوع: الرجوع من الكفر إلى الإسلام والإنابة، ومجاز الآية: أن قوماً عزم الله على إهلاكهم غير متصوّر أن يرجعوا وينيبوا، إلى أن تقوم القيامة فحينئذٍ يرجعون ويقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ يعني: أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب، وقرئ: «إنهم»: بالكسر، وحق هذا أن يتم الكلام قبله، فلا بدّ من تقدير محذوف، كأنه قيل: وحرام على قرية أهلكناها ذاك، وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور، ثم علل، فقيل: إنهم لا يرجعون عن الكفر، فكيف لا يمتنع ذلك، والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا؟ أي: لأنهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الأوّل.

فإن قلت: بم تعلقت ﴿حَتَّىٰٓ﴾: واقعة غاية له، وأية الثلاث هي؟

قلت: هي متعلقة بحرام، وهي غاية له؛ لأنّ امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة، وهي (حتى): التي يحكى بعدها الكلام، والكلام المحكيّ: الجملة من الشرط والجزاء، أعني: «إذا»، وما في حيزها، حذف المضاف إلى: ﴿يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾، وهو سدّهما، كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها، وقيل: فتحت؛ كما قيل: (أهلكناها)، وقرئ: «آجوج»، وهما قبيلتان من جنس الإنس، يقال: الناس عشرة أجزاء: تسعة منها يأجوج ومأجوج، ﴿وَهُمۡ﴾: راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر، وقيل: هم يأجوج ومأجوج، يخرجون حين يفتح السدّ، الحدب: النشز[1] من الأرض، وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «من كل جدث»، وهو القبر، الثاء: حجازية، والفاء: تميمية، وقرئ: (ينسلون): بضم السين، ونسل وعسل: أسرع.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾

و﴿إِذَا﴾: هي إذا المفاجأة، وهي تقع في المجازاة سادّة مسدّ الفاء؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، ولو قيل: إذا هي شاخصة، أو فهي شاخصة، كان سديداً، ﴿هِيَ﴾ضمير مبهم[2]، توضحه الأبصار وتفسره، كما فسر الذين ظلموا وأسروا، ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾: متعلق بمحذوف تقديره: يقولون: يا ويلنا، ويقولون: في موضع الحال من الذين كفروا.

---

(١) قوله «النشز من الأرض» في الصحاح «النشز» المكان المرتفع. (ع)

(٢) قوله «هي ضمير مبهم... إلخ» لعله ضمير (وأسروا) أو لعله واو (وأسزوا). (ع)

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يحتمل الأصنام وإبليس وأعوانه؛ لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم؛ ويصدّقه ما روي: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجلس إليهم، فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أفحمه، ثم تلا عليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾... الآية، فأقبل عبد الله بن الزبعري، فرآهم يتهامسون، فقال: ففيم خوضكم؟ فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله ـ ﷺ ـ فقال عبد الله: أما والله، لو وجدته لخصمته، فدعوه، فقال ابن الزبعري: أأنت قلت ذلك؟ قال: نعم، قال: قد خصمتك ورب الكعبة، أليس اليهود عبدوا عزيراً، والنصارى عبدوا المسيح، وبنو مليح عبدوا الملائكة؟ فقال ـ ﷺ ـ: «بَلْ هُمْ عَبَدُوا الشَّيَاطِينَ الَّتِي أَمَرَتْهُمْ بِذَلِكَ» (٩٧٠)، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾... الآية [الأنبياء: ١٠١]، يعني: عزيراً، والمسيح، والملائكة، عليهم السلام.

---

٩٧٠ ـ أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٩١) رقم (٢٤٨٣٦) حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: جلس رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة، فجاء النضر بن الحارث، وكلمه رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم... الآية».

فذكر الحديث طويلاً نحو ما ذكره المصنف، وذكره ابن إسحاق في السيرة (١/ ٤٥١) رقم (٣٤٩)، وعزاه الزيلعي (٢/ ٣٦٩) للواحدي في أسباب النزول ولابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس.

قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي ثم البغوي بغير إسناد. لم أجده هكذا إلا ملفقا، فأما صدره ففي الطبراني الصغير في أواخره من حديث ابن عباس قال: دخل رسول الله ـ ﷺ ـ مكة يوم الفتح، وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً قد شدت أقدامها برصاص ـ الحديث، وأما قوله: «وكانت صناديد قريش فقضية أخرى ذكرها ابن إسحاق في المغازي والطبري من طريقه قال: «جلس رسول الله ـ ﷺ ـ يوماً في المسجد مع رجال من قريش، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أفحمه ـ فذكر نحو المذكور هنا إلى آخره، وفيه: «إن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، وروى ابن مردويه والواحدي من طريق أبي رزين عن أبي يحيى عن ابن عباس قال: «لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾... الآية شق ذلك على قريش، وقالوا: يشتم آلهتنا. فجاء ابن الزبعري، وقال: يا محمد هذا شتم لآلهتنا خاصة، أم لكل من عبد من دون الله، قال: لكل من عبد من دون الله. قال: =

فإن قلت: لم قرنوا بآلهتهم؟

قلت: لأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غمّ وحسرة؛ حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم، والنظر إلى وجه العدوّ باب من العذاب، ولأنهم قدّروا، أنهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم، فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدروا، لم يكن شيء أبغض إليهم منهم.

فإن قلت: إذا عنيت بما تعبدون الأصنام، فما معنى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾؟

قلت: إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن[1] واحد، جاز أن يقال: لهم زفير، وإن لم يكن الزافرين إلا هم دون الأصنام للتغليب ولعدم الإلباس، والحصب: المحصوب، أي: يحصب بهم في النار، والحصب: الرمي، وقرئ بسكون الصاد؛ وصفاً بالمصدر، وقرئ: «حطب»، و«حضب»: بالضاد متحركاً وساكناً، وعن ابن مسعود: يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون، ويجوز أن يصمهم الله كما يعميهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿الْحُسْنَىٰ﴾: الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن: إمّا السعادة، وإما البشرى بالثواب، وإما التوفيق للطاعة؛ يروى أنّ عليًا ـ رضي الله عنه ـ قرأ هذه الآية، ثم قال: أنا منهم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن

= خصمتك ورب الكعبة ـ فذكر نحوه.

تنبيهان:

أحدهما: اشتهر في السنة كثير من علماء العجم وفي كتبهم: أن النبي ـ ﷺ ـ قال في هذه القصة لابن الزبعري: «وما أجهلك بلغة قومك. فإني قلت: وما تعبدون. وهي لما لا يعقل. ولم أقل: ومن تعبدون» اهـ. وهو شيء لا أصل له. ولا يوجد لا مسنداً ولا غير مسند.

الثاني: قال السهيلي اعتراض ابن الزبعري غير لازم، لأن الخطاب مخصوص بقريش وما يعبدون من الأصنام؛ ولذلك أتى بما الواقعة على ما لا يعقل اهـ. وحديث ابن عباس الذي تقدم ينقض عليه هذا التأويل. فإنه صرح بأن المراد كل ما يعبد من دون الله. انتهى.

---

[1] قوله «في قرن» هو حبل يقرن به البعيران. أفاده الصحاح. (ع)

عوف، ثم أقيمت الصلاة، فقام يجرّ رداءه، وهو يقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ (٩٧١)، والحسيس: الصوت يحس، والشهوة: طلب النفس اللذة، وقرئ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾: من أحزن، و﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾: قيل: النفخة الأخيرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ ٢٦/٢أ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]، وعن الحسن: الانصراف إلى النار، وعن الضحاك: حين يطلق على النار، وقيل: حين يذبح الموت على صورة كبش أملح، أي تستقبلهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: مهنئين على أبواب الجنة، ويقولون: هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حلّ.

﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

العامل في ﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾: لا يحزنهم، أو الفزع، أو تتلقاهم، وقرئ: «تطوى السماء»: على البناء للمفعول، ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾: بوزن العتلّ[1]، والسجل بلفظ الدلو، وروي فيه الكسر: وهو الصحيفة، أي: كما يطوى الطومار للكتابة، أي: ليكتب فيه، أو: لما يكتب فيه؛ لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء، ثم يوقع على المكتوب، ومن جمع فمعناه: للمكتوبات، أي: لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة، وقيل: (السجل): ملك يطوى كتب بني آدم إذا رفعت إليه، وقيل: كاتب كان لرسول الله ـ ﷺ ـ والكتاب ـ على هذا ـ اسم الصحيفة المكتوب فيها، ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾: مفعول نعيد الذي يفسره: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾، والكاف: مكفوفة بما، والمعنى: نعيد أوّل الخلق كما بدأناه، تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء.

فإن قلت: وما أوّل الخلق حتى يعيده كما بدأه؟

فلت: أوّله إيجاده عن العدم، فكما أوجده أولاً عن عدم، يعيده ثانياً عن عدم[2].

---

٩٧١ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٦٠٩) «لابن أبي حاتم والثعلبي وابن مردويه في تفاسيرهم». وذكره السيوطي في الدر (٤/٦٠٩).
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه والثعلبي من رواية ليث بن أبي سليم عن ابن عم النعمان بن بشير وكان من سمار علي قال: تلا علي هذه الآية ـ فذكره. انتهى.

---

(١) قوله «بوزن العتل» العتل: الغليظ الجافي. وقال تعالى: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ والعتل أيضاً: الرمح الغليظ ورجل عتل ـ بالكسر ـ: بين العتل، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت ماأول الخلق حتى يعيده كما بدأه؟ قلت: أول الخلق إيجاده عن العدم، فكما أوجده أولاً عن عدم يعيده ثانياً عن عدم» قلت: هذا الذي ذكره ههنا في المعاد قد عاد به إلى =

فإن قلت: ما بال: (خلق) منكراً؟

قلت: هو كقولك: هو أوّل رجل جاءني، تريد: أوّل الرجال، ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلاً، فكذلك معنى: (أوّل خلق): أوّل الخلق، بمعنى: أوّل الخلائق؛ لأن الخلق مصدر لا يجمع، ووجه آخر، وهو: أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره: (نعيده)[1]، وما موصولة، أي: نعيد مثل الذي بدأناه نعيده، وأول خلق: ظرف لبدأناه، أي: أوّل ما خلق، أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ، الثابت في المعنى، ﴿ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾: مصدر مؤكد؛ لأنّ قوله: (نعيده): عدة للإعادة، ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل ذلك.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

عن الشعبي ـ رحمة الله عليه ـ: زبور داود ـ عليه السلام ـ والذكر: التوراة، وقيل: اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب، والذكر: أم الكتاب، يعني: اللوح، أي: يرثها المؤمنون بعد إجلاء الكفار؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف]، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: هي أرض الجنة، وقيل: الأرض المقدّسة، ترثها أمّة محمد، ﷺ.

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

الإشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعود والوعيد والمواعظ البالغة، والبلاغ: الكفاية وما تبلغ به البغية.

= الحق ورجع عما قاله في سورة مريم، حيث فسر الإعادة بجمع المتفرق خاصة، إلا أنه كدر صفو اعترافه بالحق بتفسيره قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ بالقدرة على الفعل، ولا يلزم على هذا من القدرة على الفعل حصوله، تحويما على أن الموعود به ليس إعادة الأجسام عن عدم وإن كانت القدرة صالحة لذلك، ولكن إعادة الأجزاء على صورها مجتمعة مؤتلفة على ما تقدم له في سورة مريم؛ إلا أن يكون الباعث له على تفسير الفعل بالقدرة: أن الله ذكر ماضياً والإعادة وقوعها مستقبل، فتعين عنده من ثم حمل الفعل على القدرة فقد قارب، ومع ذلك فالحق بقاء الفعل على ظاهره؛ لأن الأفعال المستقبلة التي علم الله وقوعها، كالماضية في التحقق، فمن ثم عبر عن المستقبل بالماضي في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز. والعرض الإيذان بتحقيق وقوعه، والله أعلم.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وفي تقديره تهيئة بدأنا لأن تنصب أول خلق على المفعولية وقطعه عنه من غير ضرورة تدعو إلى ذلك وارتكاب إضمار بعيد مفسراً بـ «نعيده» وهذه عجمة في كتاب الله. انتهى. الدر المصون.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾

أرسل ـ ﷺ ـ: ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع؛ فإنما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها، ومثاله: أن يفجر الله عيناً غديقة، فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا، فالعين المفجرة في نفسها، نعمة من الله ورحمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه؛ حيث حرمها ما ينفعها، وقيل: كونه رحمة للفجار؛ من حيث أنّ عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال.

﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾

نما: لقصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على حكم؛ كقولك: إنما زيد قائم؛ وإنما يقوم زيد، وقد اجتمع المثالان في هذه الآية؛ لأن ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ مع فاعله، بمنزلة: إنما يقوم زيد، و﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ بمنزلة: إنما زيد قائم، وفائدة اجتماعهما: الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ مقصور على استئثار الله بالواحدنية، وفي قوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾: أن الوحي الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله، وأن تخلعوا الأنداد، وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع، ويجوز أن يكون المعنى: أن الذي يوحى إلي، فتكون «ما» موصولة.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾

آذن: منقول من أذن إذا علم؛ ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الإنذار؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وقول ابن حلزة [من الخفيف]:

آذَنَتۡنَا بِبَيۡنِهَا أَسۡمَاءُ[1] . . . . . .

والمعنى: أنى بعد توليكم وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب

---

(١) آذنتنا ببينها أسماء رب ثاوٍ يمل منه الثواء

للحارث بن حلزة مطلع معلقته. وأذن الشيء: علمه بحاسة الأذن، وتوسع فيه حتى صار بمعنى مطلق العلم. وآذنه ـ بالمد ـ: أعلمه. والبين: مصدر بمعنى البعد والفراق. وتقدم أن «أسماء» من الوسامة أي الحسن. والثاوي: المقيم. والملل: السآمة. والثواء: الإقامة. يقول: أعلمتنا لفراقها. ورب سقيم يسأم الناس من إقامته، وهي ليست كذلك. وحذف هذا العلم به من المقام.

توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء، كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة، فنبذ إليهم العهد، وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعاً بذلك، ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: مستوين في الإعلام به، لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم، وقشر العصا عن لحائها[1]، و﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ـه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة، ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار، وإن كنت لا أدري متى يكون ذلك؛ لأن الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه، والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الإسلام، و﴿تَكْتُمُونَ﴾ـه في صدوركم من الإحن والأحقاد للمسلمين، وهو يجازيكم عليه، وما أدري لعلّ تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون، أو تمتيع لكم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: ليكون ٢/٢٦ب ذلك حجة عليكم، وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قرئ: ﴿قُلْ﴾، و«قال»؛ على حكاية قول رسول الله ـ ﷺ ـ و﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾: على الاكتفاء بالكسرة، و«رب احكم»، على الضم و«ربي أحكم». على أفعل التفضيل، وربي أحكم: من الإحكام، أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر، ومعنى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: لاتحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم، كما قال: «اشدد وطأتك على مضر» (٩٧٢)، قرئ: (تصفون): بالتاء والياء، كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه، وكانوا

---

٩٧٢ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٥٧٢) كتاب الاستسقاء: باب «دعاء النبي ـ ﷺ ـ واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» رقم (١٠٠٦)، (٦/ ٤٨١) كتاب أحاديث الأنبياء: باب «قول الله ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ رقم (٣٣٨٦)، (١٠/ ٥٩٦) كتاب الأدب: باب «تسمية الوليد» رقم (٦٢٠٠)، (١١/ ١٩٧) كتاب الدعوات: باب «تكرير الدعاء» رقم (٦٣٩٣)، ومسلم (٣/ ١٩٠ ـ ١٩١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب «استحباب القنوت في جميع الصلاة، إذا نزلت بالمسلمين نازلة» رقم (٢٩٤ ـ ٢٩٤/ ٦٧٥) (٢٩٥/ ٦٧٥)، وابن حبان (٥/ ٣٠١) كتاب الصلاة باب «صفة الصلاة» رقم (١٩٦٩ ـ ١٩٧٢)، باب: «فضل في القنوت» رقم (١٩٨٦)، وأبو داود (١/ ٤٥٧) كتاب الصلاة: باب «القنوت في الصلاة» رقم (١٤٤٢)، وأحمد (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٥٥ ـ ٢٧١ ـ ٣٩٦ ـ ٤٠٧ ـ ٤١٨ ـ ٥٠٢ ـ ٥٢١)، وابن ماجه (١/ ٣٩٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب «ما جاء في القنوت في صلاة الفجر» رقم (١٢٤٤)، والبيهقي (٢/ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ٢٠٠) كتاب الصلاة: باب «القنوت في الصلاة عند النازلة»، (٢/ ٢٠٧) كتاب الصلاة: باب «الدليل على أنه يقنت بعد الركوع»، (٢/ ٢٤٤) كتاب الصلاة: باب «ما يجوز من الدعاء في الصلاة»، (٩/ ١٤) كتاب السير: باب «ما جاء في عذر المستضعفين»، والدارقطني (٢/ ٣٨) كتاب الوتر وأنه ليس بفرض ـ والوتر على البعير: باب «صفة القنوت وبيان موضعه» رقم (٧)، والحميدي (٢/ ٤١٩) =

---

(١) قوله «لحائها» في الصحاح: اللحاء ـ ممدود ـ قشر الشجر. (ع)

يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة، فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم، ونصر رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين، وخذلهم.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ ٱقْتَرَبَ للنَّاسِ حَسَابُهُمْ، حَاسَبَهُ اللَّهُ حِسَاباً يَسِيراً، وَصَافَحَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ كُلُّ نَبِيٍّ ذُكِرَ ٱسْمُهُ فِي الْقُرْآنِ» (٩٧٣).

= رقم (٩٣٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/١٧٦).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة في قصة القنوت في الصبح. انتهى.

٩٧٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب. انتهى.